القسم الأول

الفصل الأول

وادي النيل عبر التاريخ

١ – الموقع والطبيعة الجغرافية .

٢ – الحكم في مصر عبر التاريخ .

٣ – مصر في عهد البطالسة .

٤ – من البطالسة الى الرومان .

٥ – مصر عشية الفتح الاسلامي .

آ ـ الوضع الاجتماعي .

ب ـ العلاقة بين بيزنطة والفرس .

ج ـ المذاهب الدينية .

د ـ التنظيم العسكري البيزنطي في مصر .

وادي النيل عبر التاريخ

شهدت رمال وادي النيل أقدم حضارة عرفها التاريخ ، وقد بقي تاريخ مصر القديم محوطاً بهالة من الغموض ، لا يبدد من ظلمته سوى بعض الشواهد العمرانية الفخمة التي صمدت على مدى الدهر ـ كالاهرامات والمعابد والتماثيل ـ وسوى بعض كتابات المؤرخين اليونانيين أمثال « هيرودوت وتوسيديد » . ثم جاءت حملة نابليون بونابرت إلى مصر ومعها بعض العلماء . واستطاع شامبليون حل رموز الكتابة الهيروغليفية وأصبح بالامكان قراءة أوراق البردى ونقوش الجدران ففتحت نافذة واسعة أمكن من خلالها تبديد كل غموض وإزالة كل ضباب وظهرت حضارة أصيلة ، عريقة الجذور ، واسعة الأفق ، شاملة لكل جميل ورائع من أدب وفن وعلم في جميع المجالات .

١ ـ الموقع والطبيعة الجغرافية :

ـ يحتل وادي النيل الزاوية الشمالية الشرقية من القارة الافريقية ، ويصب النيل في البحر الأبيض المتوسط ، كما يحتل البحر الأحمر قسماً من الجبهة الشرقية لمصر ، وكان لهذا الموقع أثره الهام في حضارة مصر كنقطة التقاء بين قارات ثلاث اوربا وآسيا وافريقيا فتفاعلت فوق تربتها أعرق الحضارة وأكثرها أصالة في التاريخ ، وامتزج فيها الفكر اليوناني بالفكر الفارسي ، وساعدت الطبيعة الدافئة على انضاج هذا التفاعل وحفظه على مدى الأيام .

ـ لقد كان موقع مصر الهام سبباً في دفع كل طامح إلى احتلال وادي النيل وحكمه لكن اصالة الشعب العربي بقيت سداً شامخاً في وجه كل غزو فتحطمت

كل الفتوحات ولم يثبت منهــا فوق رمال مصر سوى شواهد وآثار تدل على اصالة عروبة مصر وعمق جذورها في اغوار التاريخ .

– كانت المياه قديماً تغمر وادي النيل وتملؤه بالمستنقعات وهــذا ما دفع قدامى المصريين إلى استيطان المرتفعات والهضاب المجاورة للوادي ، وعندما أخذ الجفاف يسيطر على الوادي وانتظم مجرى نهر النيل ظهرت التربـة الخصبة فتوجه السكان إلى الزراعة وتبع ذلك تطور المجتمع من النظام القبلي إلى النظام القروي وأقيمت السدود لحماية القرى من الفيضان ولاستثمار المياه لأعمال السقاية ، ثم اجتمعت القرى واتحدت فكونت الدولة وكان لا بد من حدوث صدام بـين الدول المختلفة في وادي النيل وانتهى الصدام بتوحيد الكيانات المختلفــة في مملكتين احداهما في الجنوب والثانية في الشمال ولم يمض وقت طويل حتى قامت الدولة الواحدة .

– وكان لنهر النيل دور حاسم في فرض نظام الحكم الواحد ، كما كان له دور حاسم في دفع السكان نحو الخضوع للنظام الموحد وفي تقارب نظام العبادة للنهر العظيم الذي حمل الحياة إلى سكان الوادي .

ان أرض مصر هي امتداد طبيعي للصحراء العربية من الشرق وللصحراء الليبية من الغرب وهذا ما دفـع بعض المؤرخين مثل « هيرودوت » إلى القول « ان مصر هبة النيل » إذ لولا النيل لما كانت مصر . ومعدل عرض النيـل هو كيلو متر في حين يمتد من منطقة البحيرات في افريقيـا الوسطى حتى يصب في البحر الابيض المتوسط ويتفرع شمال القاهرة إلى دلتا ، وان هذا التفرع قــد ساعد على تقسيم مصر من الناحية الجغرافية الى قسمين واضحين هما :

١ – مصر العليا – أو الوجه القبلي – وتسمى أيضاً الصعيد ، ويشمل هذا القسم المنطقة ما بـين اسوان والقاهرة ، وكانت عاصمة هذا القسم قديماً مدينة « طيبة » .

٢ – مصر السفلى – أو الوجه البحري – وتسمى أيضاً الدلتا ، ويشمل هذا القسم المنطقة ما بين القاهرة جنوباً والبحر الأبيض المتوسط شمالاً ، وأهم مدن هذا القسم قديماً « منف وتنيس » .

٢ – الحكم في مصر عبر التاريخ :

– ان تيار التاريخ هو سيل مستمر لا انقطاع فيه ، لكن ضرورات الدراسة فرضت تقسيم التفاعلات والأحداث التاريخية إلى مراحل ، فكان تاريخ مصر على النحو التالي :

١ – عهد ما قبل التاريخ : – وهو العهد الذي يبدأ بظهور الحياة في وادي النيل وينتهي في عام ٣٢٠٠ ق.م حيث تمكن أحد ملوك الجنوب المعروف باسم نغرمر « مينا » من توحيد وادي النيل وفرض حكمه على الشمال . وأخذ الملوك يحملون لقب « فرعون » ويضعون على رؤوسهم تاجاً مزدوجاً يجمع بين التاج الأبيض رمز ملوك الجنوب والتاج الأحمر رمز ملوك الشمال .

٢ – عهد مصر الموحدة : – وحكمت في هذا العهد ثلاثون أسرة حاكمة ، وقسم علماء التاريخ هذا العهد إلى أقسام أربعة :

١ – قسم الدولة المصرية القديمة : من الاسرة ١ – ١٠

٢ – قسم الدولة المصرية المتوسطة : من الاسرة ١١ – ١٧

٣ – قسم الدولة المصرية الحديثة : من الاسرة ١٨ – ٢٠

٤ – قسم الدولة المصرية الضعيفة أو عهد الانحطاط : من الاسرة ٢١ – ٣٠

—★—

– يمتد عهد الدولة المصرية القديمة من سنة ٣٢٠٠ – ٢١٦٠ ق.م وكانت منف عاصمة هذه الدولة . وتعتبر الاسرة الرابعة هي أكثر الأسر العشرة شهرة نظراً لما تركه فراعنتها خوفو وخفرع ومنقرع من آثار تمثلت ببناء الاهرامات

الكبرى وتمثال أبي الهول القريب من القاهرة .. وتميز هـذا العهد بتمركز السلطة القوي في يـد الفراعنة ، لكن انحراف هؤلاء الفراعنة في استخدام السلطة ، وتعميم نظام السخرة لاقامة المشاريع الكبرى وتزايد الظلم دفع بحكام المقاطعات ورجال الدين إلى التكتل وقامت ثورة دامية أطاحت بحـكم ملكية منف ، واستقل حكام المقاطعات بأقاليمهم مما أدى إلى ظهور عهـد الاقطاع ، وتجزأت مصر وانتشرت الفوضى وكان هـذا الوضع المتدهور هو الحافز لقيام عهد الدولة المتوسطة .

—★—

– يمتد عهد الدولة المتوسطة من سنة ٢١٦٠ – ١٥٨٠ ق.م ، حكمت خلاله سبعة أسر ، وكانت العاصمة « طيبة » .

– نجح ملوك الأسرة الثانية عشرة في اعادة توحيد وادي النيل بعد سلسلة من المعارك والمفاوضات مع حكام الأقاليم والمقاطعات . وتميز نظام هـذا العهد بإعطاء حكام المقاطعات والأقاليم حرية الادارة الذاتية مقابـل دعم الحكام لفرعون في حال الحرب إلى جانب تقديم دعم مادي للحكومة المركزية من أجل اقامة المشاريع العمرانية كالري والبناء واقامة السدود . وقد ساعد ذلك كله على ظهور نهضة عمرانية واجتماعية متطورة .

– وفي هذا العهد اجتاح الهيكسوس مصر ، وهم من القبائل العربية السامية التي قدمت من شبه الجزيرة العربية وسوريا عن طريق شبه جزيرة سيناء ، وقد استمر حكم الهيكسوس ما بين ١٧٣٠ – ١٥٨٠ ق.م ، وساعد التمزق الداخلي في مصر هؤلاء الملوك الدعاة على تمزيق الجيوش المصرية ، كما ساعـدهم أيضاً استخدامهم للأسلحة الجديدة ، كالعربات التي تجرها الخيل ، والخناجر البرونزية مما لم يكن يعرفه المقاتلون المصريون .

حاول الملوك الدعاة تقليد المصريين في مأكلهم وملبسهم وحياتهم على أمـل الاندماج بالشعب المصري ، لكن بقاء الأسرة الحاكمة في طيبة وفشل الهيكسوس في

السيطرة على مصر العليا والتفاف المصريين حول ملوكهم لمقاومة « الغرباء » قد ساعد على تصعيد المقاومة التي وصلت ذروتها في عهد أحمس الأول ، من الأسرة السابعة عشرة وانتهت باخراج الهيكسوس من مصر وانطلق احمس الاول في مطاردة فلولهم حتى وصل جنوب سوريا . وانتهى بذلك عهد الدولة المتوسطة ليبدأ عهد الدولة المصرية الحديثة .

—★—

حكمت مصر ما بين عام ١٥٨٠ – ١٠٨٥ ق. م ثلاثة سلالات من ١٨–٢٠ وبقيت مدينة طيبة عاصمة « للامبراطورية » ، وقد بدأت هذه السلالات عهدها بنهضة عسكرية وعمرانية ، وأراد فراعنتها تحصين شرق الدلتا ، واحتاجوا إلى المواد الأولية فقـام تحوتمس الثالث « ١٥٠٤ – ١٤٥٠ ق.م » بغزو سوريا مستهدفاً الحصول على الخشب من لبنان والنحاس من سيناء . ووقعت بين تحوتمس الثالث والامراء السوريين معركة في سفوح جبال الكرمـل قرب حيفا عام ١٤٦٨ ق.م عرفت بمعركة مجدو ، وانتصر تحوتمس ثم تابع تقدمه ، وقاد بمجموعة من المعارك انتهت بقيام امبراطورية قوية امتدت من السودان جنوباً إلى سوريا شمالاً ، وشهدت مصر في عهد تحوتمس الثالث من الرخاء والازدهار ما لم تعرفه من قبل .

– لم يتمكن خلفاء تحوتمس الثالث من المحافظة على امبراطوريتهم ،وصرفتهم الخلافات المذهبية والمنازعات الداخلية ، ولا سيما في عهـد امنحوتب الرابع « اخناتون » ١٣٧٢ – ١٣٥٤ ق. م. الذي فرض عبـادة إله الشمس « اتون » وطارد كهنة الديانة القديمة واضطهد اتباعهم واغلق معابدهم ونقل العاصمة من طيبة « الى اخيت ـ اتون » . وشعر الامراء السوريين بضعف الدولة فاستقلوا بحكم اقاليمهم وبدأ الحثيون باجتياح سوريا من الشمال مما دفع الامراء السوريين الموالين لمصر لطلب دعم حكام مصر ، فقـاد رعمسيس الثاني جيشاً الى سوريا والتقى بالحثيين في معركة « قادش » قرب حمص عام ١٢٩٦ ق.م. ولم ينته القتال

الى نتيجة حاسمة مما اضطر رعمسيس إلى عقد معاهدة استقل بموجبها الحثيون في حكم شمال حمص وللمصريين جنوبها .

وكان من أهم ما خلفته هذه السلالات معبد الكرنك والمسلات الحجرية الكثيرة التي خلدوا عليها أخبار انتصاراتهم .

لم ينجح خلفاء رعمسيس الثاني في الحفاظ على وحدة الامبراطورية ، ولا استطاعوا حماية مصر كدولة موحدة وبدأ بذلك عهد جديد تعاقبت عليه عشرة سلالات من ٢١ – ٣٠ ، وامتد من ١٠٨٥ – ٣٣٢ ق. م.

– استقلت في عهد هذه السلالات الدولة وأصبحت مجموعة دويلات ، وانتشرت الفوضى وتعاظم دور رجال الدين والكهنة حتى استطاع بعضهم الاستيلاء على الحكم . كما جابهت مصر في عهدهم الغزو الخارجي المتمثل بهجوم شعوب البحر ، واحتل الليبيون الدلتا لفترة قرنين من الزمن كما احتل الاثيوبيون « الاحباش » مصر العليا في عام ٧٤٦ ق.م. تقريباً ، واحتل الآشوريون مصر في عهد أسرحدون عام ٦٧٠ ق.م وأصبحت مصر تابعة للآشوريين . . ثم شهدت مصر بعد ذلك عهداً قصيراً من الازدهار في حكم الاسرة ٢٦ عرف بالعصر الصاوي ، ولم يلبث الضعف بعد ذلك أن عاود سيطرته على الدولة وذلك مع ظهور قوة الفرس الذين أخذوا يتقدمون من فارس في اتجاه الغرب ، فاحتلوا سوريا وتابعوا زحفهم حتى أبواب مصر ثم نجح قمبيز الثاني ملك فارس في احتلال مصر وأعلن نفسه ملكاً عليها وبقي الاحتلال الفارسي لمصر مستمراً حتى جاءت جيوش الاسكندر المقدوني ففتحت مصر عام ٣٣٢ ق. م.

٣ – مصر في عهد البطالسة :

– كانت مقدونيا مملكة تحتل سهلاً واسعاً تحيط به الجبال في شمال اليونان، وعندما ضعفت ممالك اليونان « اثينة واسبارطة وثيبة » تقدم المكدونيون بقيادة

فيليب الثاني واحتلوا اليونان ، وحكم فيليب الثاني من ٣٦٠ - ٣٣٦ ق. م. ونجح في احتلال سواحل بحر ايجة وانهى احتلال اليونان عام ٣٣٨ ق.م. وعندما وضع مخططاته لمتابعة التوسع واخضاع فارس ، اغتيل عام ٣٣٦ ق.م. تاركاً تنفيذ اعمال التوسع لابنه الاسكندر المقدوني .

- قضى الاسكندر على الثورات التي تصدت لحكمه بعد مقتل ابيه ثم قاد جيوشه لانتزاع آسيا الصغرى من الفرس ونجح في احتلالها بعد مجموعة من المعارك التي كان أشهرها معركة ايسوس «قرب خليج الاسكندرون» ثم تابع الاسكندر تقدمه مع محاذاة الساحل السوري فاحتل المدن الفينيقية بسرعة ولم تصمد في وجهه سوى صور التي قاومت الحصار الطويل قبل ان تسقط ثم دخلت جيوش الاسكندر مصر ٣٣٢ واستقبل فيها كمحرر للشعب وأطلق عليه لقب فرعون .

تابع الاسكندر المقدوني فتوحاته حتى وصل بحر قزوين واحتل تركستان وافغانستان الحالية ووادي السند « باكستان » ، ووصل حدود الهند وعادت قواته على محورين احدهما طريق المحيط الهندي فالخليج العربي ، والثاني على الطرق الداخلية في اتجاه بلاد الرافدين ..

أقام الاسكندر الاكبر في بابل بعد عودته من فتوحاته وأراد ان يتخذ من بابل عاصمة لامبراطوريته الواسعة لكنه اصيب بالحمى وتوفي في عام ٣٢٣ ق. م.

- اختلف قادة الاسكندر بعد وفاته ، واستقل القائد انتيغون في حكم اليونان ومقدونيا واسس الدولة الانتيغونية ..

- كما استقل القائد « سلوقس » في حكم سوريا وبلاد الرافدين وايران ، وأسس الدولة السلوقية وجعل انطاكية عاصمة لها ، ثم تقلصت رقعة هذه الدولة عند ظهور الأسرة البارثية في ايران ..

- واستقل القائد بطليموس في مصر وأسس دولة البطالمة أو البطالسة وجعل الاسكندرية عاصمة لها ..

كان الاسكندر قد حمل معه في فتوحاته عدداً كبيراً من العلماء ، وامتزج

بالسكان عن طريق تشجيع الزواج والاندماج في المجتمع . ونتيجة لذلك نشأت حضارة رائعة عرفت بالحضارة الهيلينستية ، وأصبحت الاسكندرية وانطاكية منارات للاشعاع الفكري والحضاري في مختلف العلوم والفنون .

٤ – من البطالسة الى الرومان « بيزنطة » :

– في عام ٧٥٣ ق.م قام رومولوس ببناء « روما » على ماتذكره الاساطير. والشعب الايطالي مثله كمثل الشعب اليوناني والايراني من العرق الآري « الهندي – اوربي » .

– ومن ٧٥٣ – ٥٠٩ ق.م حكم روما ملوك يساعدهم مجلس شيوخ من الأسر النبيلة وجمعية عمومية تضم أحرار روما ، ولم تكن حدود هذه المملكة تتجاوز مدينة روما .

– أعقب ذلك الحكم الجمهوري من ٥٠٩ – ٣٢ ق.م. بعد ثورة ضد الملوك الذين استأثروا بالسلطة،وكان من أعظم انجازات هذا العهد خروج روما موحدة قوية تضم أقاليم واسعة .

– العهد الامبراطوري من ٣٢ ق.م. حتى ٤٧٦م حيث انفرد اوكتافيوس بالحكم بعد مجموعة المعارك التي خاضها ضد الجمهوريين الذين قتلوا يوليوس قيصر بتهمة تحويل الجمهورية الى امبراطورية .

لقد حدثت أكثر الفتوحات في العهد الجمهوري وكانت وفق التسلسل التالي:

١ – احتلال قرطاجة بعد الحروب البونية (٢٦٤ – ١٤٦ ق.م) .

٢ – احتلال مقدونيا واليونان سنة ١٤٨ ق.م. ومتابعة التوسع حتى جبال طوروس .

٣ – احتلال سوريا من قبل القائد الروماني بومبيوس عام ٦٤ ق.م والقضاء على الدولة السلوقية .

٤ – احتلال فرنسا « بلاد الغال » وجنوب بريطانيا بقيادة يوليوس قيصر عام ٥٥ ق.م .

٥ ـ احتلال مصر من قبل القائد الروملني اوكتافيوس وازالة حكم البطالمة الذي انتهى بالقضاء على كليوباترة ..

في عام ٣٨١ م أعلن الامبراطور تيودوسيوس جعل الديانة المسيحية ديناً للدولة وأخذ في مطاردة الوثنيين واضطهاد أتباع هذه الديانة .

حكم الامبراطور قسطنطين خلال الفترة ما بين ٣٠٦ ـ ٣٣٧ م ، وحاول دعم الدولة وتقويتها فبنى القسطنطينية في موقع بيزنطة وجعلها عاصمة له عام ٣٣٠ م .

ثم جاء تيودوسيوس فقسم الدولة عام ٣٩٥ م الى قسمين :

١ ـ قسم شرقي يحكمه ابنه الأكبر « اركاديوس » وعاصمته القسطنطينية .

٢ ـ قسم غربي يحكمه ابنه الثاني « هونوديوس » وعاصمته روما .

في عام ٤٧٦ م سقطت روما بيد القبائل الجرمانية البربرية وقامت على انقاضها دويلات عديدة . ويعتبر المؤرخون هذا العام « ٤٧٦ م » هو بداية « العصور الوسطى » .

ـ استمرت الدولة الرومانية الشرقية « بيزنطة » في حكم الأقاليم التابعة لها وهي :

ـ بلاد البلقان وجزر بحر ايجة في اوربا .

ـ آسيا الصغرى وارمينيا وسوريا الطبيعية حتى ضفاف نهر الفرات في آسيا .

ـ مصر وبلاد برقة « ليبيا » في افريقيا .

ـ أطلق العرب على هذه الدولة اسم « دولة الروم » .. وكانت لهم مع الروم معارك مستمرة ابتدأت بتحرير الشام ومصر من قبضتهم وانتزاع السيطرة البحرية طوال العهد الأموي . ثم انتهت بيزنطة عندما استولى السلطان العثماني محمد الفاتح على القسطنطينية عام ١٤٥٣ م ..

الحكم في مصر عبر التاريخ

توقيت الاحداث	وجيز عنهـــا
ما قبـل التاريخ	حيث كانت هناك مملكة في الشمال عاصمتها « طيبة » ومملكة في الجنوب عاصمتها « منف وتنيس » .
٣٢٠٠ ق.م.	سيطرت مملكة الجنوب على مملكة الشمال وتوحدت مصر بقيادة الملك مينا .
٣٢٠٠ – ٢١٦٠ ق. م.	حكمت مصر سلالات من الاسرة ١ – ١٠ ، وكانت « منف » هي العاصمة . أشهر هذه السلالات الاسرة الرابعة ومنهم خوفو وخفرع ومنقرع بناة الاهرامات الكبرى وأبو الهول . واخـــذ الضعف يتسرب الى الحكم وبرزت التناقضات الداخلية وحدث تمزق بين الحكام انتهى بضياع وحدة وادي النيل .
٢١٦٠ – ١٥٨٠ ق. م.	حكمت مصر سلالات من الاسرة ١١ – ١٧، وكانت طيبة عاصمتهم ، وأعادوا الوحدة لمصر .
١٧٣٠ – ١٥٨٠ ق. م.	**قام الهيكسوس وهم عرب من الجزيرة العربيـــة والشام بغزو مصر وحكمها .**
١٦٠٠ ق. م.	**نجح احمس الاول من الاسرة السابعة عشرة باخراج الهيكسوس من مصر .**
١٥٨٠ – ١٠٨٥ ق. م.	من الاسرة ١٨ – ٢٠ وكانت طيبة عاصمتهم .
١٥٠٤ – ١٤٥٠ ق. م.	**اقدم تحوتمس الثالث على غزو سوريا وانتصر على السوريين في معركة مجدو في عام ١٤٦٨ ق. م.**

توقيت الاحداث	وجيز عنها
١٣٧٢ – ١٣٥٤ ق. م.	تولى الحكم امنحوتب الرابع « اخناتون » ونقل العاصمة من طيبة الى « اخيت ـ آتون » تل العمارنة حالياً ، وفرض عبادة الشمس على الشعب .
١٢٩٦ ق. م.	قاد رعمسيس الثاني جيشه وحارب الحثيين وانتصر عليهم في معركة قادش قرب حمص . وانتهى الامر بمعاهدة لاقتسام الحكم فكان للحثيين شمال حمص وللمصريين جنوبها .
١٠٨٥ – ٣٣٢ ق. م.	قام من الاسرة ٢١ ـ ٣٠ ، وتميز حكم هذه الأسر بالضعف الذي انتهى بتمزق الدولة وانهيارها .
	ـ فقد احتل الليبيون الدلتا وحكموها طوال قرنين من الزمن .
	ـ وقام شعوب البحر « اليونانيون على الاغلب » بغزو مصر ، ونجح المصريون بطردهم .
٧٤٦ ق.م.	احتل الاثيوبيون « الاحباش » مصر العليا .
٦٧٠ ق.م.	احتل الآشوريون مصر في عهد « اسرحدون » .
٥٢٥ ق.م.	احتل الفرس مصر بقيادة « قمبيز الثاني » .
٣٣٢ – ٣٠ ق. م.	احتل البطالسة مصر بقيادة « الاسكندر المقدوني » .
٣٠ ق. م. – ٦٤٠ م.	انتزع الرومان مصر من البطالسة وحكموها .
٦٤٠ م.	دخل العرب المسلمون مصر بقيادة عمرو بن العاص.



مصـــر - في حكم الفراعنة

٥ - مصر عشية الفتح الاسلامي

ا - الوضع الاجتماعي :

- جابهت مصر قبل الاسلام عــدداً من الغزوات والهجمات كالهيكسوس وشعوب البحر والبطالسة والاثيوبيين والليبيين ، وكان هدف اكثر هذه الهجمات استيطانياً ، فلما انتهت الى الفشل خلفت في مصر أقليات فضلت الاستيطـان والبقـــاء في مصر واندمجت في مجتمعها وأصبحت قسماً متلاحماً مع أرض مصر وشعبها ..

- جـــاء الرومان ليحتلوا مكانة البطالسة في حكم مصر . وجعلوا من الاسكندرية عاصمة لهم ، واعتمدوا على اشراف روما - البطارقة - في الحكم في الادارة ، كما اعتمدوا على قواتهم لفرض سيطرتهم لكن كثرة الحروب التي خاضتها روما ، ثم بيزنطة ، وبصورة خاصة ضـد الفرس ، حملت الحكومة البيزنطية على الاعتماد والى حد بعيد على ابناء البلاد الاصليين . فكان هناك نظام للادارة المحلية في كل اقليم وفي كل مجتمع داخل الاقليم .. وكان المقوقس هو الحاكم في مصر عند الفتح الاسلامي ..

- أراد الرومان من احتلال مصر جعلها مزرعـــة ترفد روما وجيوشها بالمتطلبـات التموينية والمواد الغذائية ، وورثت بيزنطة بعـد انقسام الدولة الرومانية ، هذا الدور واستمرت في تنفيذ السياسة ذاتها [**فأثقل كاهـــل المصريين بالاعباء والمتطلبات وفرضت الضرائب على الاشخاص والاشياء فكانت تجبى على الرؤوس والصناعات والماشية والاراضي ، ولم تقتصر هذه الضرائب على انواع خاصة من البضائع بل كانت تجبى على المـارة رجالاً ونساء وتجاراً وغير تجار ومن صناع السفن ومن زوجات الجنود وعلى اثاث**

المنازل . ولم تتوقف الضرائب عند حدود الاحياء بل تجاوزتها الى الموتى حتى انه لم يكن يسمح بدفن الميت الا بعد دفع ضريبة معينة ، وقد الزم المصريون بايواء من يمر بهم من الموظفين الملكيين والعسكريين وتقديم ما يلزمهم من الحاجات وتوفير اسباب الراحة لهم في حلهم وترحالهم والزموا في السنين الاخيرة بتقديم الغذاء الى الجنود ...] [1] .

– علاوة على ذلك فقد كانت هناك اقليات من اليهود والوثنيين الذين كانوا عرضة للاضطهاد المستمر بسبب الاتهامات الموجهة اليهم بالاتصال مع القوى الاجنبية والتواطؤ مع الشعوب الاجنبية .

– لقد خلقت هذه السياسة هوة بين الشعب وجماهيره الواسعة وبين الحكم واجهزته الغريبة واخذت هذه الهوة في الاتساع مع زيادة الضرائب وتصاعد درجة الاضطهاد . كما ادت الاعباء الثقيلة الى ضعف المصريين وزيادة نقمتهم على الحكم البيزنطي ..

ب – العلاقة بين بيزنطة – والفرس ..

شهدت بلاد الشام ومصر فترة من التوتر والاضطراب والحروب بين اكبر قوتين في العالم القديم : الفرس – وبيزنطة ، ويمكن تلخيص احداث هذه الفترة بما يلي : – [2]

في عام ٦٠٧ م – تقدمت الجيوش الفارسية على محورين : اولهما باتجاه آسيا الصغرى وهدفها القسطنطينية ، وثانيهما في اتجاه الشام . وطرقت القوات الفارسية ابواب القسطنطينية بينما احتلت القوات الاخرى الشام مما وضع بيزنطة امام موقف خطير يتهددها بالزوال .

---

(١) Histo.y - of - Egypte. Under - Roman. Rule. Milne. P.P. 115 - 125 .

(٢) الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم – الطبعة الثانية – ص ٣١ – ٤٢ ، ابراهيم العدوي

في عام ٦١٠ م – تولى « هرقل » حكم بيزنطة ، وكرس جهوده لبناء القوات المسلحة واعادة تنظيم الجيوش، استعداداً للقيام بهجوم مضاد .

في عام ٦١١ م – اراد الفرس اجهاض استعدادات بيزنطة فدفعوا قواتهم في هجوم جديد واحتلت القوات الفارسية ارمينيا كما وصلت مدينة حمص واحتلتها . فقام هرقل بتوجيه جيش لتحرير ارمينيا وقاد جيشاً آخر لتحرير سوريا ..

في عام ٦١٤ م – زحف « كسرى – برويز » ملك فارس الى سوريا فاستولى على انطاكية ودمشق وايلياء « بيت المقدس » واستباح اورشليم ، فنهبها جند الفرس واحرقوا كنيسة القيامة وسلبوا خزائنها كما احرقوا القبر المقدس وحملوا معهم الى بلادهم بطريرك القدس وصليبها الحقيقي ..

في عام ٦١٧ م – احتل الفرس « مصر » واكملوا سيادتهم على الشام ومصر ، ثم وجهوا جيشاً للهجوم على القسطنطينية، لكن عاصمة بيزنطة صمدت في وجه الهجوم الفارسي .

في عام ٦٢١ م – انهى « هرقل » مرحلة الاستعداد ، وانطلق بهجوم قوي وحاسم، فأوغل في بلاد الفرس مما اضطر « برويز » على سحب قواته من الشام للدفاع عن قلب مملكته، واستمر هذا الهجوم فترة اعوام ثلاثة ..

في عام ٦٢٧ م – قاد هرقل هجوماً جديداً وصل به الى نينوى عاصمة الاشوريين للمرة الاولى ، ودمر جيش الفرس ، فتنازل كسرى « برويز » عن الحكم لابنه مردانشاه ، وهذا ما اثار حقد شيرويه الاخ الثاني لمردانشاه ، فنظم مؤامرة واعتقل اخوته الثمانية عشرة وقتلهم كما اعتقل والده « كسرى برويز » والقى به في السجن حتى مات .. وانفرد بالحكم ، لكنه لم يعمر طويلاً ، ولم

يلبث ان توفي بعـــد ستة اشهر من بداية حكمه وانتهى بذلـك حكم الاسرة الساسانية وبدأ عهـد من الفوضى والاضطراب ..

في عام ٦٢٨ م – استعاد هرقل حكم الشام .

وفي ١٤ ايلول - سبتمبر - ٦٢٩ م – اعـاد امبراطور بيزنطـة الى القدس صليبها الاعظم .

– ويجمع عدد كبير من المؤرخين على ان هذه الحروب قد استنزفت قوة الطرفين : الفرس ، والروم ، ولكن هذه الحروب المستمرة هي برهان في الوقت ذاته على القوة الكبرى والتنظيم الرائع والاستعداد القتالي الكبير لأكبر قوتين محاربتين عرفهما تاريخ ما قبل الفتح الاسلامي ..

ج – المذاهب الدينية :

– كان الرومان يدينون بالوثنية عندما احتلوا بلاد الشام ومصر ، فاضطهدوا المسيحية عند ظهورها ، ونكلوا بأتباعها وطاردوهم واستمروا في ذلك حتى عهد الامبراطور قسطنطين « ٣٠٦ – ٣٣٧ م » .. حيث اعترف الامبراطور بالدين المسيحي وساوى في عام ٣٢٣ بين الاديان المختلفة . وفي عهد الامبراطور « تيودوسيس – ٣٧٨ – ٣٩٥ م » اصبحت المسيحيـــة الدين الرسمي للدولة بداية من عام ٣٨١ م .

– كان الانقسام المذهبي قد عرف طريقه الى المسيحية فكان هناك :

١ – اتباع آريوس وهم القائلون **[ان المسيح اشرق ، لكنه دون الله]** .

٢ – اتباع اثناسيوس وهم القائلون **[ان المسيح من روح الله ، وانه يساويه في اللاهوت وان العلاقة بينهما أبدية]** . **وهو ما يعبر عنه بمبدأ التثليث[1] ..**

---

(١) تاريخ الاسلام ، الدكتور حسن ابراهيم حسن ، ص ٢٣٢ .

– وفي عام ٣٢٥ م عقد مؤتمر الجمع في « نيقية » للتوفيق بين الرأيين ونتج عن ذلك انقسام المسيحيين الى :

١ ـ **الارثوذكس** : أو المستقيمون ، وهم الذين التزموا بالدين القديم .

٢ ـ **الكاثوليك** : وهم اتباع الكنيسة الجامعة ، اي كنيسة روما وهم انصار اثناسيوس .

ثم ظهر خلاف جديد بين المصريين والروم نتيجة لظهور مذهبين جديدين :

٣ ـ **اليعاقبة** : ويقولون بامتزاج الطبيعتين الإلهية والبشرية في المسيح وذلك بعد التجسد .

٤ ـ **الملكيين** : ويعتقدون ان الابن مولود من الاب قبل كل الدهور وانه غير مخلوق اتحد بالانسان المأخوذ من مريم فصار واحداً وهو المسيح .

وفي عام ٤٥١ وفي عهد الامبراطور مرقيانوس (٣٥٠ ـ ٤٥٧) عقد مجمع قونيه مرة اخرى لكنه لم يتمكن من التوفيق بين المذهبين .

عندما خرج هرقل من معاركه مع الفرس منتصراً ، اراد دعم انتصاراته بتوحيد الجبهة الداخلية ، وكان بطريرك اليعاقبة في منبج اول من استجاب لهذه الرغبة فاتفق سراً مع بطريرك القسطنطينية « بيروس » على مشروع وسط .

وتقدم من هرقل بمشروعه الذي يتلخص [**ان للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة** ..] واستشار هرقل بطريرك القسطنطينية السوري الاصل فوافق على المشروع علنا بعد أن كان قد اقره « سراً » واصدر هرقل مشروعه الجديد فوافق عليه كثير من الاساقفة الشرقيين وامتنع بطريرك القدس « صفرونيوس » كما امتنع اسقف عمان وعدد من البطاركة ، ولم يفلح هرقل في توحيد العالم المسيحي بل أوجد مذهباً ثالثاً دفع إلى مزيد من التمزق المذهبي .

– وبقي الملكيون أو الكاثوليكيون ، وهم يمثلون المذهب الرسمي للدولة ويقولون ان للمسيح طبيعتين ومشيئتين ..

– وبقي اهل الشام ومصر يقولون بطبيعة واحدة ومشيئة واحـدة وهم اليعاقبة نسبة الى رائدهم « يعقوب البراذعي – براديوس » ..

واعتبر الطرفان اصحاب المذهب الجديد بمثابة الخارجين على الدين ورموهم بالزندقة والهرطقة ..

واشتدت المعارضة للمذهب الجديد بصورة خاصـة وقاد البطريرك القبطي بنيامين حملة المعارضة ، فاضطر « قيرس Cyrus » وهو المقوقس لاستخـدام وسائل العنف والتنكيل لملاحقة اصحاب المذهب اليعقوبي ، مما حمل بنيامين على الفرار وقيادة الحركة السرية التي ضمت القبط جميعاً .

– وهكذا كان سكان مصر عرضة للاضطهاد في جميع مراحل عهد الحكم الروماني – البيزنطي :

في البداية ، عندما اضطهدت الوثنية ، اتباع المسيحية .

وفي النهاية ، عندما اضطهدت المسيحية الملكية اتبـاع المذاهب المخالفة ، الارثوذكس واليعاقبة .

– ترى هل كان تمزق وحدة المسيحية هو العامل في انتصار المسلمين ونجاح عمليات فتح مصر ؟.

– يقيناً لا – اذا ما اخذ هذا العامل وحده – .

ويقيناً لا – اذا ما اخذ مع غيره من العوامل – .

ان العوامل الحاسمة للنصر تكمن في قوة العرب المسلمين : ايماناً بعقيدتهم ، ومهارة في قيادتهم ، واقداماً في جنودهم ومقاتليهم .

د – التنظيم العسكري – البيزنطي – في مصر :

كان للمصريين قصب السبق في مجـال تنظيم الجيوش وتسليحها وقيادتها . وظهر خلال الحكم الفرعوني قادة طوروا فن الحرب ووضعوا أسساً في قيادة الجيوش وخوض المعارك ، ثم جاء البطالسة فأخذوا عن المصريين كثيراً من قواعد القتال وطوروها . وانتهى الأمر الى الرومان ، فكان لهم معارك في كل

مكان من اوربا ، وكان لهم معارك مستمرة مع الفرس وظهر بنتيجة ذلك تطور كبير في فن حرب العهود القديمة .

– وكان من الدروس التي خرجت بها بيزنطة في حروبها هي الاعتماد على المدن المحصنة والمواقع الدفاعية المنظمة بهدف اعاقة تقدم اعداءها واتاحة الفرصة امام جيوشها لخوض المعركة مع انشاء نقاط المراقبة المتقدمة التي تضم حاميات صغرى هدفها الانذار ومجابهة كل هجوم مباغت ..

وقد استنزفت عمليات تحصين المدن وتنظيم المواقع المتصلة جهد الدولة البيزنطية وامكاناتها المادية مما اعاق تطوير القوات الهجومية ..

– وشهد الجيش البيزنطي تطوراً كبيراً في التنظيم وعلى الرغم من ابقاء نظام الليجيونات . إلا ان هذه الليجيونات قسمت الى كوجورتات ومانيبولات مما اصبح يسمح بحرية المناورة والحركة ، وكان يتم وضع القوات في نسقين يشكل الليجيون نسقاً منها وينقسم الليجيون الى عشرة كوجورتات ..[1]

كما طبق نظام التسلسل العشري في قيادة القوات مما وفر للجيوش البيزنطية امكانات القيادة الجيدة ..

– ورافق التطور في التنظيم تطور مماثل في التسليح مما يتوافق مع البنية الاجتماعية للجيش، فكان تنظيم الفرسان الخفيفة الى جانب الابقاء على تنظيم الفرسان الثقيلة ، وكان تنظيم المشاة الخفيفة الى جانب تنظيم المشاة الثقيلة ..

– وكان الجيش البيزنطي يستخدم الى جانب الاسلحة الفردية « السيوف والرماح » اسلحة اجماعية منها المنجنيقات والابراج المتحركة وقاذفات الرماح الخفيفة الخ ..

---

(١) الليجيون : ٥ – ٦ آلاف مقاتل يقسم الى عشر كوجورتات تعداد كل واحد منها ٥٠٠ – ٦٠٠ مقاتل ويقسم الكوجورت الى ثلاث مانيبولات .

« تاريخ فن الحروب ١ / ٧٤ – ٧٨ » ..

– وخلاصة القول ، ان الجيش البيزنطي كان جيد التنظيم والتسليح ، قوي العدد والعدة ، يتفوق في امكاناته البشرية ، ويعتمد على التحصينات الثابتة لإعاقة تقدم العدو ..

– وكان للجيش البيزنطي نقاط ضعفه ..

فقد كان يضم مجموعات بشرية لا تجانس بينها مما جعل هذا الجيش مفتقر للروابط الوطنية والقومية ، ويقول المؤرخون في وصف الجيش البيزنطي خلال هذه المرحلة [1] :

[لم يكن القادة يتمتعون بالكفاءة ، وكانت القطعات متنافرة الاجناس مجردة من كل شعور وطني ، تنهب وتعيش على موارد البلاد ، وتعصي القادة في ساحة المعركة ، وكانوا على الفور ، متهيئين للثورة والتمرد والعصيان او الفرار من الجيش ، اما الضباط وهم الذين همهم الترقية والغنيمة فلم يكونوا احسن حالا من جنودهم ...] .

– وكان من نقاط الضعف ايضاً اعتماد الحكم البيزنطي على الجيوش المحلية ، فكان لكل اقليم قيادته ، وكان عدم وحدة القيادة من العوامل الاساسية في التنظيم القتالي والاسلوب الحربي للجيش البيزنطي ..

– وهكذا كان يدافع عن مصر جيشان ، جيش يقوده المقوقس ويضم القوات المصرية ، وجيش الروم « البيزنطيين » وعاصمته الاسكندرية .. ولم يكن التوافق كاملاً بين القيادتين ..

لكن نقاط الضعف لا يمكنها ان تنقص من اهمية جيش بيزنطة وقوته . ويكفي القول انه كان جيشاً له تجاربه الكبرى ولديه خبرات قتالية جيدة ، وهو يتفوق عددياً على كل قوة عسكرية معاصرة له ، وهو الى ذلك ، يعرف الارض التي يقاتل فوقها وله تحصينات قوية وتنظيمات دفاعية جيدة .

---

(١) يوسف يازجي – تاريخ جيوش العالم – المجلة العسكرية – ٤ و ٥ – ١٩٧٣

القسم الأول

الفصل الثاني

فتح مصر

جدول توقيت الاحداث .

١ ـ النبوءة .

٢ ـ القائـــد .

٣ ـ الخليفة عمر يوافق على فتح مصر .

٤ ـ في الطريق الى مصر .

٥ ـ خطط الطرف المقابل .

٦ ـ الفرما ، بداية فتح مصر .

٧ ـ من الفرما الى القواصر .

٨ ـ من القواصر الى بلبيس .

٩ ـ ام دنين بعد بلبيس .

١٠ ـ الحصار الطويل وسقوط بابليون .

١١ ـ اتفاقيـــة الصلح .

١٢ ـ في الطريق الى الاسكندرية .

١٣ ـ الكريون آخر معركة قبل الاسكندرية .

١٤ ـ فتح الاسكندرية .

١٥ ـ خراب خربة ودان .

١٦ ـ رابطة الاسكندرية .

١٧ ـ فتح برقة وزويلة .

١٨ ـ فتح أطرابلس .

١٩ ـ فتح الاسكندرية الثاني .

٢٠ ـ تأمين الحدود الجنوبية لمصر



فتــــح مصر

جدول توقيت الاحداث

السنـــة الهجريـة	السنة الميلادية	الاحـــــداث
١١ هـ	٦٣٢ م	وفاة الرسول الاعظم ﷺ وخلافة ابي بكر .
١١ هـ	٦٣٢ م	حروب الردة واعادة توحيـــد الجزيرة العربية .
١٢ هـ	٦٣٣ م	مسير خالد بن الوليد الى العراق ، وفتحها .
١٣ هـ	٦٣٤ م	توجيه الجيوش لفتح الشام .
١٣ هـ	٦٣٤ م	وفاة الصديق وتولي الفاروق عمر الخلافة .
١٣ هـ	٦٣٤ م	ــ معركة اليرموك .
١٤ هـ	٦٣٥ م	ــ معركة القادسية .
١٥ هـ	٦٣٦ م	ــ معركة اجنادين .
١٥ هـ	٦٣٦ م	ــ فتح بيت المقدس .
١٦ هـ	٦٣٧ م	ــ فتح المدائن .
١٧ هـ	٦٣٨ م	ــ فتح الجزيرة ـ الرها ـ ارمينيا .
١٨ هـ	١٢ ديسمبر ٦٣٩ م	وصول عمرو بن العاص الى مصر .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
٢٠ هـ	٢٠ يناير - ك ٢ - ٦٤٠ م	فتح الفرما .
٢٠ هـ	١ مايو ٦٤٠ م	غزو اقليم الفيوم .
٢٠ هـ	٦ يونيو - حزيران ٦٤٠م	وصول قوات الدعم بقيادة الزبير بن العوام .
٢٠ هـ	يوليو - تموز ٦٤٠ م	موقعة عين شمس .
٢٠ هـ	سبتمبر - ايلول ٦٤٠ م	بداية ضرب الحصار على بابليون .
٢٠ هـ	اكتوبر ٦٤٠ م	توقيع المعاهدة بين المقوقس «قيرس» وعمرو بن العاص .
٢١ هـ	٦ ابريل - نيسان ٦٤١ م	استسلام حامية بابليون ، وهو اليوم الذي يؤرخ به الفتح العربي لمصر .
٢١ هـ	١٣ مايس ٦٤١ م	فتح نقيوس .
٢١ هـ	١٠ يونيو - حزيران ٦٤١م	بداية الهجوم على الاسكندرية .
٢١ هـ	٨ نوفمبر - ت٢ - ٦٤١م	استسلام الحامية المدافعة عن الاسكندرية .
٢٢ هـ	١٧ ايلول - سبتمبر ٦٤٢م	جلاء الروم عن الاسكندرية .
٢٥ هـ	اواخر عام ٦٤٥ م	ثورة الاسكندرية بقيادة مانويل .
٢٦ هـ	صيف ٦٤٦ م	الفتح العربي الثاني للاسكندرية .

فتح مصر

١ – النبوءة :

عاد الرسول الاعظم من صلح الحديبية وهو على يقين بأن مرحلة هامة من مراحل الدعوة قد انتهت ، وان الجزيرة العربية على وشك انهاء وحدتها ، واخذ يتطلع ببصره الى ما وراء الأفق ، وفكر في الكتابة الى حاكم مصر ، يدعوه الى الاسلام واعلن عن رغبته وطلب متطوعاً يحمل الرسالة ، واسرع حاطب بن ابي بلتعة لتلبية امر الرسول ، وحمل معه الرسالة التي تضمنت :

[« بسم الله الرحمن الرحيم »

من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط (١)

سلام على من اتبع الهدى . اما بعد . فاني ادعوك بدعاية الاسلام ، اسلم تسلم ، واسلم يؤتك الله اجرك مرتين ، يا أهل الكتاب ، تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ..]

– وصل حاطب الى الاسكندرية واستقبله المقوقس فأحسن استقباله ، ودار بينه وبين حاطب حديث طويل ، عرف المقوقس من خلاله ما ستتمخض عنه الجزيرة العربية فأعد هدية للرسول الاعظم ضمت جاريتين « مارية ، وأختها سيرين » كما ضمت ثوباً للرسول وهدايا اخرى ، وحمل حاطب رد الرسالة

....

(١) فتح مصر والمغرب – ابن الحكم ص ٨٠ – ٨١ . وصبح الاعشى للقلقشندي ٦ – ٣٧٨
– يطلق المؤرخون اسم المقوقس على حاكم مصر في ذلك العصر اطلاقاً خاطئاً ، والمقصود بالمقوقس هو قيرس Cyrus – بطريق الاسكندرية الملكاني الذي جمع له هرقل ولاية الدين وجباية خراج ارض مصر ..

وودعه بمثل ما استقبله من حفاوة ، وعاد حاطب الى الرسول ، وعندما وصل المدينة ألقى قصيدة جاء فيها :

انى مضيت الى النبي ارسلتني — اطوي المهامة كالمجد المعنف
حتى رأيت بمصر صاحب ملكهم — فبدا إلي بمثل قول المنصف
هذا الكتاب كتابه لك جامعاً — يا خير مأمول بحبك نكتفي.

وفتح الرسول الاكرم رسالة المقوقس فقرأ فيها :

[... لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام

اما بعـــد

فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه ، وقد علمت ان نبياً قد بقي وكنت اظن انه يخرج بالشام ، وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة واهديت اليك بغلة لتركبها والسلام ..]

— رد غامض ، فيه من القبول بقدر ما فيه من الامتناع،وفيه من الصراحة بقدر ما فيه من الابهام ،ولم يكن الرسول الاعظم يتوقع رداً افضـل ، لكن امانة الرسالة وواجب الدعوة. وتزوج الرسول بمارية وولدت له ابراهيم فاعتقها واهدى سيرين الى حسان بن ثابت .

— ورنا الرسول الاعظم ببصره ذات يوم الى الافق،وخاطب الصحابة بقوله:

[.. اذا افتتحتم مصر،فاستوصوا بالقبط خيراً، فان لهم ذمة ورحماً] [1]

وحفظ الصحابة عن الرسول القائد وصيته ، وبقيت نبوءته ملء اسماعهم وابصارهم .

....

(١) الحديث ٢٥٤٣ في صحيح مسلم ، فضائل الصحابة ، باب وصية النبي بأهـــل مصر ، والمقصود بالذمة والرحم ، قرابة العرب بهاجر أم اسماعيل عليه السلام .

٢ – القائــــد :

– في السنة الثامنة للهجرة ، وصل المدينة خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وعمرو بن العاص ، واسرع من يعلم الرسول الاعظم بوصول هؤلاء وعزمهم على اشهار اسلامهم فقال الرسول :

[.. ألقت اليكم مكة افلاذ اكبادها ..] [١]

ووصل ابن الوليد وصحبه حيث كان الرسول، وبايعوه لكن عمرو بن العاص اشترط على الرسول قبل مبايعته فقال له : [يا رسول الله ، هل يغفر لنا الله ما تقدم من ذنوبنا ..] واجابه الرسول : [.. الا تعلم ان الاسلام يجب ما قبله ..] واستبشر عمرو، وانبسطت اساريره وقال للرسول : [هات يدك ابايعك] .. وتمت البيعة ، وانصرف الناس وقال الرسول الاعظم لصحبه :

[.. اسلم الناس ، وآمن عمرو بن العاص ..] [٢]

– وصدق عمرو بن العاص في اسلامه ، وثبت على ايمانه عندما اهتز ايمان المرتدين بعد وفاة الرسول . فوجهه ابو بكر الصديق الى حرب قضاعة ، فأبلى بلاء حسناً وبدأت مواهبه القيادية تتفتح .. وكان الخليفـــة ابو بكر يعرف في الرجال امكاناتهم وقدراتهم ، فأصدر اوامره بتعيين عمرو بن العاص لقيادة واحد من الجيوش الموجهة الى الشمال لفتح للشام وخصص له فلسطين كمسرح لعملياته وخرج لوداعه ماشياً وأوصاه .

– عندما اصدر ابو بكر اوامره بتعيين عمرو بن العاص ، كان مما اوصاه بـه قوله :

[لقد وليتك هذا الجيش ، فانصرف الى فلسطين ، وكاتب ابو عبيدة

....

(١) اسد الغابة ٣ – ٣٧٢ ، والاستيعاب ٣ – ١٠٣٤ ، وكان الرسول الاعظم يقصـد بذلك ان وجوه اهل مكة وقادتها قد انضموا اليكم ..

(٢) الامام احمد ٤ – ١٥٥ والترمذي ٢ – ٣١٦ ..

وانجده اذا ارادك ، ولا تقطع امراً الا بمشورته] - وتألم عمرو بن العاص لهذا التعيين ، فقد كانت نفسه تطمح لقيادة عامة ، فذهب الى عمر بن الخطاب يلتمس منه التوسط لدى الخليفة أبي بكر ، لكن عمر بن الخطاب اجابه :

[.. ليس على ابي عبيدة امير ، ولأبي عبيدة عندنا افضل منزلة منك واقدم سابقة منك وهو الذي قال فيه النبي : ابو عبيدة امين الامة ..]
فقال عمرو بن العاص : ما ينقص من منزلته اذا كنت والياً عليه .. واجابه عمر: ويلك يا عمرو ، انك ما تطلب بقولك هذا الا الرياسة والشرف ، فاتق الله ولا تطلب الا شرف الآخرة ، ووجه الله تعالى ..]

فقال عمرو بن العاص : ان الامر كما ذكرت ، ثم امر الناس بالمسير تحت رايته فساروا وتقدم اهل مكة وتبعهم بنو كلاب وطيء وهوازن وثقيف[1] .

- كان لعمرو بن العاص دور قيادي في فتوح الشام . فهو الذي اشار على قادة المسلمين بالتجمع لمجابهة الروم. وهو الذي قاد عمليات فتح فلسطين . واظهر من المكر والدهاء في حروبه ما تغلب على « ارطبون الروم » الذي اشتهر بالدهاء حتى قال فيه الخليفة عمر بن الخطاب :

[لقد رمينا ارطبون الروم بأرطبون العرب فانظروا عم تنفرج ..][2]

ولقي ارطبون الهزيمة على يد عمرو بن العاص ففر من المعركة الى بيت المقدس ومنها الى مصر وكان له موعد آخر مع ابن العاص ..

- كانت قيادة معركة اجنادين وقيادة اعمال فتح فلسطين دون مستوى طموح عمرو بن العاص ، وبقي يتحين الفرصة السانحة لتحقيق مزيد من الاعمال الخالدة ، ووافته الفرصة عندما جاء الخليفة عمر بن الخطاب الى الجابية فالتقى به على انفراد وطرح عليه مشروع فتح مصر ..

....

(١) الواقدي - فتوح الشام ١٤ و ١٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ - ١٩٥ ، والكامل لابن الاثير ٢ - ٢١٨ .

– كان الخليفة عمر بن الخطاب يقـدر في عمرو بن العاص صفاته القيادية وقدراته القتالية و كفاءته .

– الا ان الخليفة عمر لم يكن ليوافق بسهولة مع ما عرف عنه من الخوف على المسلمين قبل الوثوق بقدرة عمرو بن العاص على فتح مصر ، مع امكان تحقيق الفتح وانجازه بحد ادنى من التضحيات ..[1]

٣ – الخليفة عمر يوافق على فتح مصر :

– كان ذلك في نهاية السنة الثامنة عشرة للهجرة ١٨ هـ – ٦٣٠ م ..

– وكانت عمليات الشام قد انتهت ولم تبق الا قيصرية « قيسارية » ممتنعة على قوات المسلمين المحدقة بها بقيادة معاوية بن ابي سفيان ..

– وكانت عمليات فتوح العراق قد انتهت واستقر الوضع للمسلمين فيها .

– عرف عمرو بن العاص ان الخليفة عمر متردد في اتخاذ قراره ، فأخـذ يزين له فتح مصر ، وكان مما قاله له :

(.. يا امير المؤمنين ، ائذن لي ان اسير الى مصر فانك ان منحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم ، وهي اكثر الارض اموالا واعجزها عن القتال والحروب ..) [2]

---

(١) الاصابة ٥ – ٢ ، واليعقوبي ٢ – ١٩٧ ، وابن الحكم – ١ ٢٤ – وهنـاك بعض الروايات في ابن الحكم ٨٠ – ٨٣ تزعم ان عمرو بن العاص قد توجه الى مصر دون رأي الخليفة عمر ، وهذه الروايات ضعيفة نظراً لما عرف عن الخليفة عمر من الشدة وعدم التهاون في مخالفة تعليماته ، ونظراً لما عرف عن القائد عمرو بن العاص من الانصياع الشديد لتعليمات الخليفـة عمر وحادثة حضوره من مصر مع ابنه لتنفيذ حكم عمر فيه انتصاراً للقبطي الذي صفعه ابن عمر في السباق وقال له (خذها وانا ابن الاكرمين ..) هـذه الحادثة هي خير شاهد على الانضباط الذي كان يفرضه الخليفة عمر والذي يستحيل معه خروج ابن العاص وفق مشيئته الى مصر دون موافقة الخليفة ..

(٢) ابن الحكم ٨١ – ٨٣ ، الطـبري ٣ – ١٩٥ .. ويذكر الواقـدي في تاريخه ومعه بعض الرواة الذين يذكرون ان الخليفة عمر قد ارسل الى ابي عبيدة يأمره بتوجيـه ابن ←

– كان عمرو بن العاص يعرف مصر قبل الاسلام ، فقد زارها للتجارة ، وعرف طرقها ومسالكها كما عرف امكاناتها الاقتصادية وأوضاعها الاجتماعية ، وكان حديثه عنها حديث العارف بأمورها الخبير بأوضاعها ونتيجة لذلك فقد كان باستطاعته اقناع الخليفة بصحة رأيه .

– وكان الخليفة عمر يعرف ان الوضع العام في الشام قد اصبح امينا واصبح بالامكان الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة لمتابعة اعمال الفتوح ، واخيراً اتخذ الخليفة عمر قراراً اولياً وابلغه الى قائده عمرو بن العاص :

(.. سر وانا مستخير الله في سيرك ، وسيأتيك كتابي سريعاً ان شاء الله فان ادركك كتابي آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل ان تدخلها او شيئاً من ارضها فانصرف ، وان انت دخلتها قبل ان يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره ..) [1]

وحانت الفرصة التي طالما انتظرها القائد عمرو بن العاص وعمل لها ..

٤ – في الطريق الى مصر :

– عندما وصل عمرو بن العاص امر التحرك الى مصر وضع مخططه منطلقاً في ذلك من معطيات ثابتة :

١ – اجراء التحرك ضمن نطاق محكم من السرية بهدف تحقيق المباغتة .

٢ – تجنب المقاومات الثانوية والمواقع الجنبية والتحصينات القوية قبل الوصول الى مصر .

– ولهذا عمل على انهاء استعداداته للتحرك ، وأمر قواته [بالمسير

....

العاص الى مصر . ومن المحتمل ان يكون ابن العاص قد استأذن الخليفة عمر كما ذكرنا ، وانتظر الخليفة عمر حتى عودته من الشام الى المدينة وعندما كتب اليه ابو عبيدة يعلمه بانتهاء الفتوح ارسل اليه رسالة يطلب فيها توجيه ابن العاص الى مصر ووجه في الوقت ذاته الرسالة الوارد نصها هنا الى عمرو بن العاص يأمره بالتحرك الى مصر ويعطيه موافقته الخطية بالتحرك ..

(١) المصدر السابق نفسه .

من جوف الليل ، دون ان يشعر به احد من الناس ..) [1] – وعلم قادة عمرو ابن العاص فيما بعد عن هدف التحرك فكتبوا الى الخليفة عمر ، واعلم الخليفة عمرو بن العاص بذلك ووعده بتقديم الدعم اذا تطلب الامر .

– عندما علم عثمان بن عفان بأمر التحرك الى مصر ، خاف على المسلمين من طموح عمرو بن العاص ، وحذر الخليفة عمر ، فتخوف الخليفة و كتب الى عمرو ابن العاص رسالة يمنعه فيها من متابعة التقدم ...

ووصل حامل رسالة الخليفة وقوات عمرو بن العاص على ابواب رفح ، وتخوف عمرو ان هو اخذ الكتاب وفتحه ان يجد فيه الانصراف كما عهد اليه الخليفة عمر . فلم يأخذ الكتاب ودافع الرسول ، وسار حتى وصل قرية بين رفح والعريش . وسأل عنها فقيل له انها من مصر ، فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين وقال عمرو لمن معه :

(ألستم تعلمون ان هذه القرية من مصر ؟ قالوا : بلى . قال : (.. فان امير المؤمنين عهد الي وامرني ان لحقني كتابه ولم ادخل ارض مصر ان ارجع ولم يلحقني كتابه حتى دخلنا ارض مصر ، فسيروا على بركة الله ..)

– ووصل ابن العاص الى العريش ، وفتحها ، ثم انطلق في سيناء متبعاً المحور الذي اتبعه الفرس في هجومهم على مصر واتبعه الاسكندر المقدوني في هجومه على فارس . وتجنب في مسيرته كل الحصون والقلاع التي اقامتها بيزنطة على المحور الساحلي الواصل ما بين الفرما [2] والعريش ..

---

(١) ابن الحكم – فتوح مصر – ٨٦ .

(٢) الفرما : اسم عربي لمدينة « بلوز » وكان القبط يسمونها « برمون » بنيت المدينة فوق مرتفع من الارض على بعد ميل ونصف من البحر ، وكان لها مرفأ يصلها بالبحر وكان فرع النيل يسمى « البلوزي » ويصب قريباً منها . تضم المدينة عدداً كبيراً من آثار المصريين القدماء وبها كنائس وأديرة ، كانت مفتاح مصر من الشرق عني المصريون بتحصينها وهدم الفرس اسوارها وحصونها ثم اعاد الروم تحصينها قبل الفتح الاسلامي – ابن الحكم ٨٨ .

٥ - خطط الطرف المقابل :

- وضع المقوقس حاكم مصر مخطط الدفاع عن مصر وفق المعطيات التالية :

١ - عزل مصر عن بلاد الشام ومنع تسرب اخبار الفتح بهدف الحفاظ على الروح المعنوية للقوات المقاتلة في مصر .

(بعث المقوقس رسله إلى جميع اطراف بلاده مما يلي الشام بأن لا يتركوا احداً من الروم ولا غيرهم يدخل ارض مصر ، كل ذلك لئلا يتحدثوا بما صنع المسلمون بجنود هرقل فيدخل الرعب في قلوب قومه ..) (١)

٢ - تعزيز المقاومة في الحصون والمواقع المتقدمة في سيناء وبصورة خاصة مدينة الفرما ..

٣ - الاعتماد على تأييد قوات الاقاليم المجاورة : ليبيا - الحبشة - الصعيد ، مع الاعتماد على قوات دعم بيزنطة عن طريق البحر الى الاسكندرية .

٦ - الفرما - بداية فتح مصر :

- نجح عمرو بن العاص في مرحلة التقرب من العريش الى مصر عبر سيناء ، في تجنب جميع المخافر المتقدمة والمواقع المحصنة - المسالح - وذلك حتى لا يستنزف من قوته شيئاً قبل الوصول الى هدفه .. وعندما وصل الى الفرماء حدثت معركة بينه وبين الحامية المدافعة عن المدينة ،واستطاع عمرو بن العاص أن يلحق الهزيمة بها ، فلجأت إلى الحصون ، وأحكم عمرو بن العاص الحصار على الفرما (٢) ، واستمر الحصار فترة شهر تقريبا ، ثم اخترقت قوات العرب المسلمين الحصار ، وسقطت الفرما ، واصبح الطريق الى مصر مفتوحاً ..

(١) فتوح مصر والشام - الواقدي 2- 45

(٢)ابن الحكم - فتوح مصر والمغرب 86- ذكر ابن الحكم أنه كان في الاسكندرية أسقف للقبط يقال له بنيامين ، كتب إلى القبط عندما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر ، وقال لقومه إنه لا تكون لدولة الروم دولة ، وإن ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقي عمرو بن العاص.

٧ – من الفرما الى القواصر[١]:

– انطلق عمرو بن العاص من الفرما في اتجاه القواصر ، وجابهته بعض القوات المتفرقة التي لم تتمكن من اعاقة التقدم .. وعندما وصلت قوات العرب المسلمين الى القواصر حاصرتها وبعد معارك متفرقة امكن احتلال البلدة ، وفرت القوات بعد ان مزقتها قوات المسلمين ..[٢]

٨ – من القواصر الى بلبيس :

كانت بلبيس هي قاعدة الدفاع عن بابليون وام دنين ، وكانت الحامية المدافعة عنها مكونة من عشرة آلاف مقاتل ١٠,٠٠٠ بينما لم يكن جيش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص اكثر من ٣٥٠٠ مقاتل .. وكانت ارمانوسة المصرية بنت المقوقس في طريقها الى قيصرية في الشام – قيسارية – لتزف الى قسطنطين بن هرقل ، فلما وصلتها المعلومات عن حصار قيسارية من قبل العرب عادت الى مصر ، ومع وصولها الى بلبيس وصلت قوات العرب المسلمين فانضمت القوات المدافعة عن ارمانوسة الى حامية المدينة ، وكان بها الارطبون الذي هزم في اجنادين ففر الى بيت المقدس وانضم بقوته الى مصر ..

---

(١) القواصر ، بلدة قديمة من اعمال مركز التل الكبير ، ومكانها الآن القصاصين وجاء في معجم البلدان انها موضع بين الفرما والفسطاط ، ويذكر المؤرخون ان مياه بحيرة المنزلة كانت قد طفت على ما حولها بعد استيلاء عمرو بن العاص على الفرما واصبح الطريق الساحلي الذي اعتادت الجيوش الغازية عبوره غير مأمون ومسالكه صعبة فلزم عمرو طريق الصحراء نحو الجنوب ففتح مجدل « Migdol » ، القنطرة شرق حالياً .. ثم تابع زحفه الى الصالحية ومنها الى وادي الطليمات « الطميلات » قرب التل الكبير ..

(٢) في ابن الحكم ص 86- قال كريب بن أبرهة ، كنت أرعى غنما لأهلي بالقواصر فنزل عمرو ومن معه ، فدنوت إلى أقرب منازلهم فإذا نفر من القبط يقول بعضهم لبعض (ألا تعجبون من هؤلاء القوم ، يقدمون على جموع الروم وإنما هم في قلة من الناس) فأجاب رجل منهم (إن هؤلاء القوم لا يتوجهون إلى أحد إلا ظهروا عليه حتى يقتلوا خيرهم ...) . وترددت مثل هذه الجملة على ألسنة بعضهم، ثم جاء مقتل عثمان بعد ذلك من وحي هذا القول ..

– هزمت قوات الارطبون في مصر وقتل الارطبون ، ولجأت بقايا قوته الى ام دنين كما اسرت الاميرة ارمانوسة فوجهها عمرو بن العاص الى ابيها معززة مكرمة مما كان له اثر كبير في نفس المقوقس الذي اخذ على عاتقه تمهيد السبيل لعقد صلح مع العرب [١] .

٩ – ام دنين – بعد بلبيس [٢] :

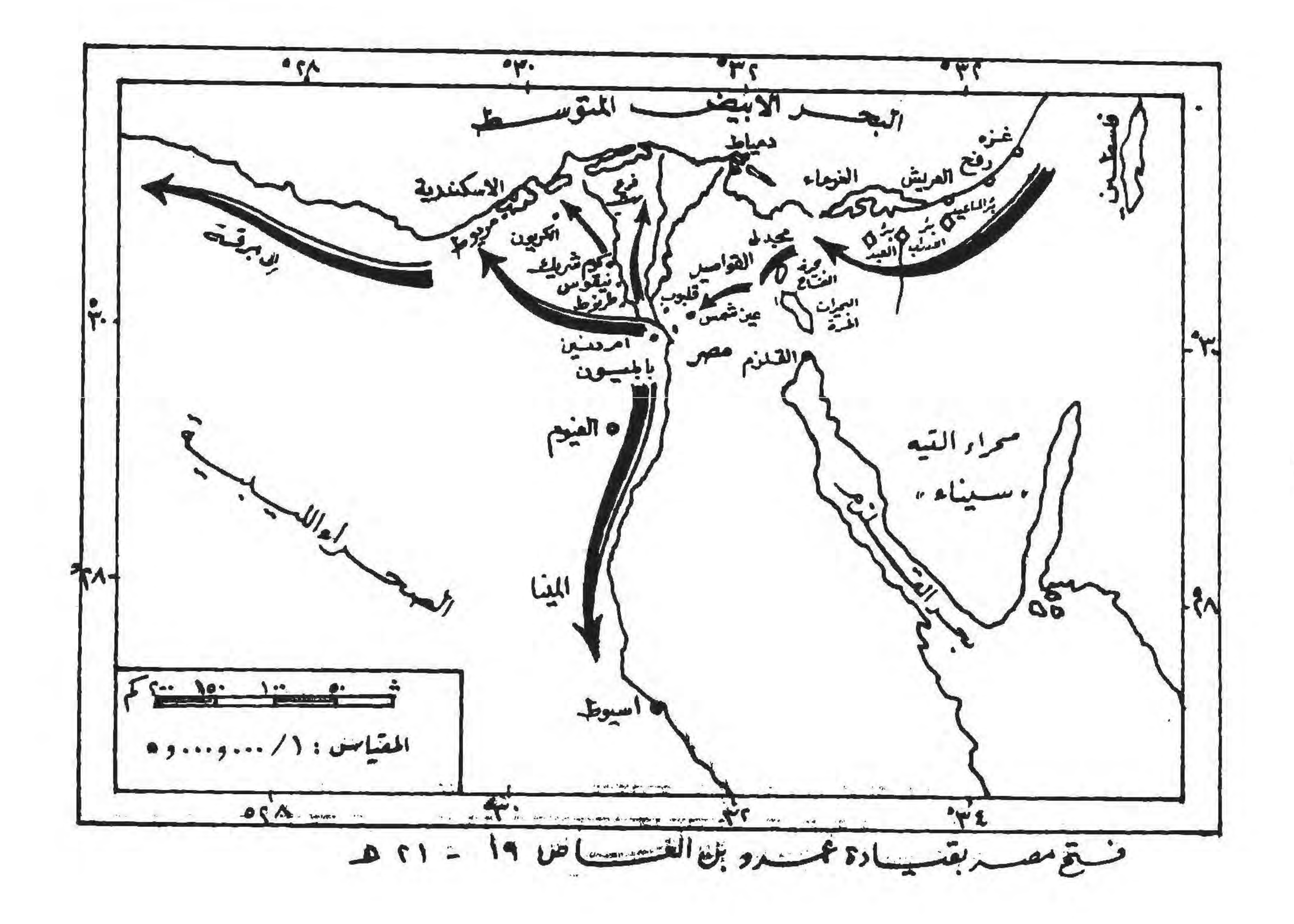
– توجهت قوات العرب المسلمين الى ام دنين بعـد ان نجحت في تصفية المقاومة المتمركزة في بلبيس .

– كان الروم قد خندقوا خندقاً وجعلوا له ابواباً ، وبنوا في افنيتها حسك الحديد – كالسياج الشائك – وكانوا قد نظموا المقاومة امام ام دنين ، وتصدت قوات العرب المسلمين لقوات الروم ودارت معارك طاحنة وكان التفوق العددي عامل هام الى جانب الروم فلجأ عمرو بن العاص الى الحيلة ودفع مع احد قادته – اللخمي – لنصب كمين قوته خمسمائة من الفرسان ، وغدا عمرو بن العاص على القتال فقاتل الروم في معركة جبهية شرسة ، ثم ظهرت قوة الكمين الى الخلف من قوات الروم ، فتحطم تنظيم قتـال العدو واضطر مرغماً الى الفرار ، فلاحقت فرسان المسلمين القوات الهاربـة ومزقتها .. واضطر من بقي حيـاً اللجوء الى قلعة ام دنين ..

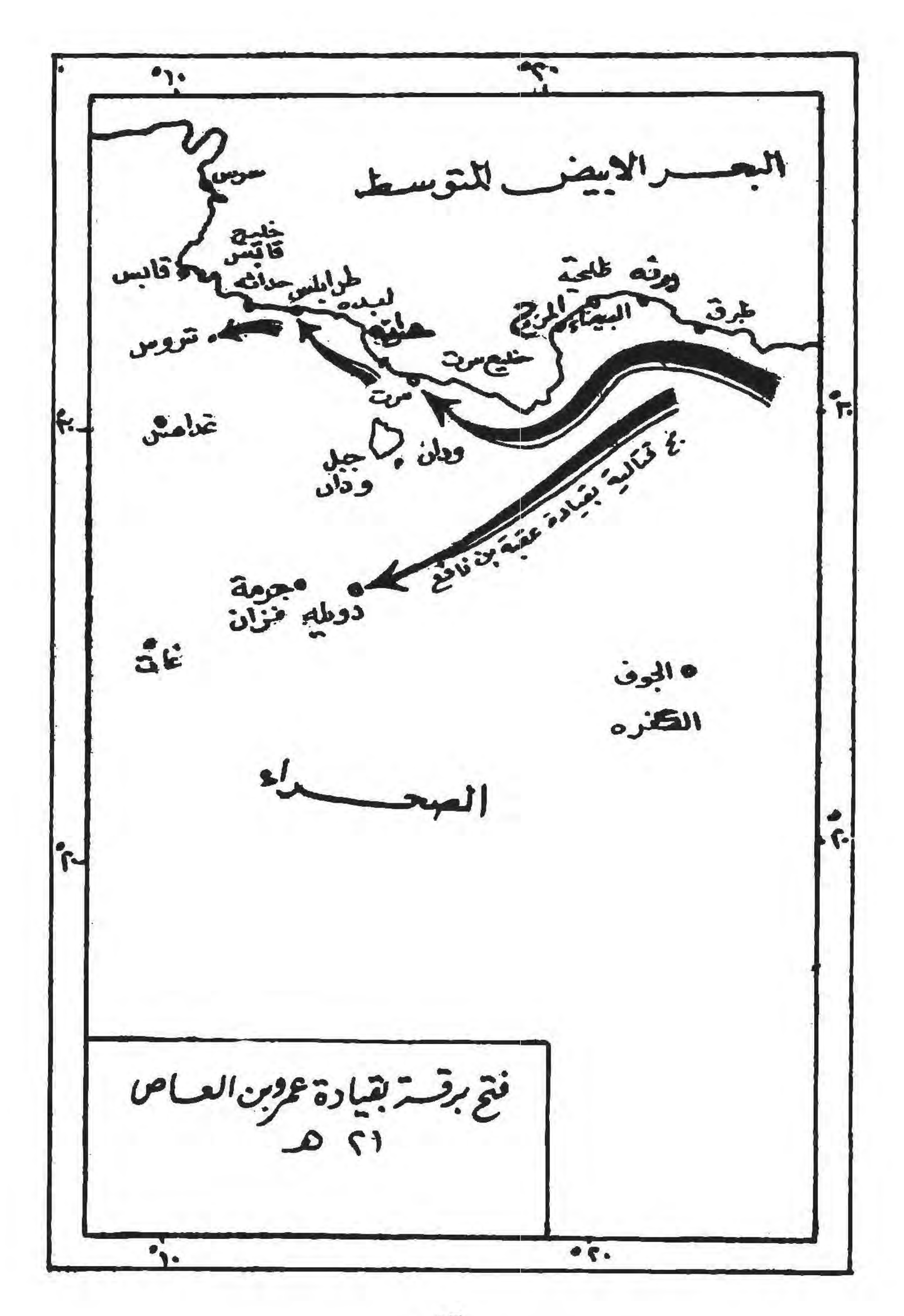
---

(١) جاء في تاريخ الطبري ٣ – ٦١٢ ، ان الارطبون قـد قتل اثناء اغارته في احدى صوائف الروم – قراءات – في نهاية هذا الفصل ..

(٢) ابن الحكم – ٨٧ – الاسم القديم لام دنين هو تندونياس . ثم اطلق على ام دنين اسم « المقس » . استولى عمرو بن العاص على بلدة ام دنين ، وكانت الى الشمال من حصن بابليون ، ويذكر المقريزي ان ام دنين كانت ميناء مصر وقت الفتح العربي ويذكر بعض المؤرخـين من الغرب انه لما تأخر فتحها على عمرو بن العاص وعجز عن فتح حصن بابليون ، اخذ من مسلحة – ام دنين – سفناً وعبر النيل بجنده في وجه آخر هو غزو اقليم الفيوم وهو العدوة القصوى ، وتعتمد هذه الرواية على ما جاء في ديوان حنا النقيوسي ، لكن مؤرخي العرب يخالفون هـذا الرأي ويذكرون ان فتح الفيوم كان بعد سقوط حصن بابليون ..



فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص ١٩ - ٢١ هـ


البحر الابيض المتوسط
خليج قابس
قابس
طرابلس
لبده
خليج سرت
سرت
طبرق
غدامس
ودان
جبل ودان
جرمة
فزان
غات
الجوف
الكفره
الصحراء
فتح برقة بقيادة عمرو بن العاص
٢١ هـ

– استمرت المعارك في ام دنين بضراوة وعناد طوال شهر لم يتوقف خلاله القتال .. وفي النهاية خاض العرب المسلمون معركة حاسمة ونجحوا في اختراق التحصينات . وسقطت قلاع ام دنين وتحصيناتها وبدأت بعد ذلك مرحلة طويلة وحاسمة من القتال لتصفية آخر المقاومات في مصر ..

١٠ – الحصار الطويل ، وسقوط بابليون :

– كان حصن بابليون مماثلاً في قوته وتنظيمه الدفاعي لما كان عليه حصن ام دنين ، ولكنه كان يتميز عنه باتساعه وزيادة حجم الحامية المدافعة عنه ، وكان في بابليون عندما هاجمها المسلمون المقوقس – جريج بن مينا بن قرقب – حاكم مصر ومعه جماعة من الروم ورؤساء القبط وأكابرهم ، وكان على قيادة الحامية المدافعة عن المدينة قائد لقبه « الاعيرج » ..(١)

– عندما وصل العرب المسلمون الى « بابليون » ضربوا حصاراً حولها ، وشعر عمرو بن العاص ان قوة جيشه دون مستوى المعركة الطويلة وان كفة توازن القوى في غير صالحه فلجأ الى الحيلة ، وقام بتظاهرة استعراضية ، فباعد المسافات بين جنده بهدف خداع العدو عن معرفة القوة الحقيقية لجيشه ، وضيق حلقة الحصار ودارت بين جنده وبين جند الروم معارك ضارية لم يحقق خلالها أي طرف نتيجة حاسمة .

– شعر الخليفة عمر بانقطاع اخبار جند المسلمين في مصر ، وقدر خطورة السرعة البطيئة في تطوير العمليات فكتب الى عمرو بن العاص يستوضح الامر ، فأجابه عمرو بن العاص ، وشرح له الموقف وطلب دعمه .. وعند ذلك وجه الخليفة عمر الخطاب قوة مكونة من اربعة آلاف مقاتل وكتب رسالة الى عمرو ابن العاص ، جاء فيها :

....

(١) ابن الحكم – فتوح مصر والمغرب .
كان « الاعيرج » وهو المندفور القبطي يدير مصر من قبل المقوقس ، وكان يتولى قيادة الحامية المدافعة عن بابليون ، وكان اسمه « جورج » حرف الى جريج .

(.. اني قد امددتك بأربعة آلاف رجل على كل الف منهم رجل مقام الالف ، الزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد ... وان معك اثني عشر الفاً ولا يغلب اثنا عشر الفاً من قلة ..) [1]

– طال أمد الحصار ، وأظهر المسلمون من الصبر والشدة والتصميم على متابعة القتال ما اضعف عزيمة الحامية المدافعة عن بابليون وأحبط من ارادتها القتالية ، فجمع المقوقس من وثق بهم من الحرس ودعا معه الاسقف الملكاني واستشارهم سواً في الامر ، وطرح عليهم الموقف وذلك في أوائل شهر تشرين الاول – اكتوبر – ٦٤٠ م واقترح بذل المال للعرب وابعادهم عن بلاده ، واستقر رأي المجتمعين على ان يذهب المقوقس واصحابه تحت ستار الليل الى جزيرة الروضة ، خوف استيلاء العرب على الحصن واتخذت احتياطات أمن مشددة ، ففتح الباب الحديدي المطل على النيل ، واستقل الملك ومرافقوه السفن ونزلوا في الموضع الذي أنشئت فيه دار الصناعة فيما بعد بجزيرة الروضة ، وترك امر الدفاع الى قائد الحامية ، ولما اشتدت وطأة الحصار ، وخاف الاعيرج اقتحام العرب للحصن ، ركب وعدد من القادة والاشراف السفن الملصقة بالحصن ، وانضموا الى المقوقس في جزيرة الروضة ..

– بعد ان استقر المقوقس في جزيرة الروضة ارسل مراسلاً الى عمرو بن العاص يحمل الرسالة التالية :

(... لقد ولجتم في بلادنا وألححتم على قتالنا وطال مقامكم في ارضنا وانما انتم عصبة يسيرة ، وقد اظلتكم الروم ، وجهزوا اليكم ومعهم من العدة والسلاح ، وقد احاط بكم هذا النيل وانما انتم اسارى في ايدينا فابعثوا الينا رجلا منكم

....

(١) ابن الحكم - فتوح مصر والمغرب ٨٨ - وفي تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ج ٢ - ص ٢٩ يذكر ان قادة الدعم هم الزبير بن العوام وبسر بن ارطاة وعمير بن وهب الجمحي وخارجة بن حذافة. والرأي الاكثر صحة في رأي المؤرخين هو ما ورد اعلاه .. ويذكر البلاذري - ٢١٤ نصاً مماثلاً ولكنه يذكر خارجة بن حذافة دون مسلمة ..

نسمع من كلامكم فلعله ان يأتي الامر فيا بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنكم وعنا هذا القتال قبل ان تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ولعلكم ان تندموا ان كان الامر مخالفاً لطلبتكم ورجاءكم فابعث الينا رجلا من اصحابكم نعاملهم على ما نرضى به نحن وهم من شيء ..)

– وصل رسل المقوقس الى مقر قيادة عمرو بن العاص ، فاحتفظ بهم في ضيافته مدة يومين بهدف اخضاعهم لحرب نفسية ، واطلاعهم على ما يرغب من احوال المسلمين . وشعر المقوقس بالقلق نتيجة لتأخر مراسليه في العودة حتى سأل مستشاريه :

(.. اترون انهم يقتلون الرسل ويحبسونهم ويستحلون ذلك في دينهم ..

– عاد رسل المقوقس ، يحملون رد عمرو بن العاص وفيه :

(.. ليس بيني وبينكم الا احدى ثلاث خصال :

١ ـ اما ان دخلتم في الاسلام فكنتم اخواننا وكان لكم ما لنا .

٢ ـ وان ابيتم فاعطيتم الجزية عن يد وانتم صاغرون .

٣ ـ واما ان جاهدناكم بالصبر والقتـــال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ..) .

– وجلس المقوقس الى رسله،يستوضح منهم احوال العرب المسلمين فأجابوه:

(.. رأينا قوماً الموت احب الى احدهم من الحياة والتواضع احب اليه من الرفعة ، ليس لاحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة ، انما جلوسهم على التراب واكلهم على ركبهم ، واميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد منهم من العبد ، واذا حضرت الصلاة ، لم يتخلف عنها منهم احد،يغسلون اطرافهم بالماء ويتخشعون في صلاتهم ..) .

وقال المقوقس عندها لجلسائه :

(.. لو ان هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقوى على قتالهم احد ،

ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهـــذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم اذا امكنتهم الارض ، وقووا على الخروج من موضعهم ..

– في تلـــك الفترة من المفاوضات والحصار المضروب على بابليون وصلت المعلومات الى عمرو بن العاص عن اقتراب قوة الدعم بقيادة الزبير بن العوام ، فقرر عمرو الخروج بقوته لاستقبال الزبير ووضع خطة القتال .

– شعر تيودور قائد قوات الروم ان لديه من القوة ما يستطيـع معها القضاء على قوة العرب قبل وصول قوات الدعم اليها ، فتحرك بجيوشه نحو هليو بوليس – عين شمس – الواقعة على مسافة ستة اميال من معسكر العرب ..

– توفرت المعلومات لدى عمرو بن العاص عن تصميم قائد الروم ، وعرف ان قوته تضم عشرين الف مقاتل ، بينما لم تكن قوة عمرو بن العاص تزيد على ثلاثة آلاف مقاتل ، فوضع مخططه لاحباط تصميم العدو وذلك باتباع ما يلي :

١ – وضع كتيبة من قواته عنـد أم دنين بمهمـة القيام بهجوم جنبي على قوات الروم .

٢ – وضع كتيبة من قواته عند ثنية الجبل قرب القلعة الحالية بمهمـة القيام بهجوم جنبي على قوات الروم من الطرف المقابل .

٣ – القيام بهجوم جنبي على القوات المهاجمة .

اتخذ عمرو بن العاص الاحتياطات الضرورية لاخفاء قوة الكمين وتمويههـا حتى لا يشعر بها العدو ، كما نسق التعاون بين القوات بحيث يتم انقضاض قوات الكمين على مؤخرة العدو ومجنباته في الوقت المناسب ..

– انطلق الروم بهجومهم من البساتين والأديرة الواقعة الى الشمال الشرقي من حصن بابليون ، وبدأت المعركة ضارية وشرسة ، وتم اللقاء بين الجيشين في مكان وسط بين معسكرين – قـــد يكون في موضع العباسية الآن – وعندما وصل زخم القتال ذروته ، ظهرت الكتيبة العربية من جهة الجبل فاجتاحت مؤخرة

الروم ، وألحقت بهم الهزيمة فتوجهوا نحو أم دنين وعند ذلك ظهرت قوة الكمين الثاني ، ففر الروم يحاولون النجاة ولكن فرسان المسلمين قاموا بالمطاردة بحيث لم يتمكن من النجاة اكثر من ثلاثمائة مقاتل ، نزلوا السفن وعادوا الى الحصن ..

– استقبل عمرو بن العاص الزبير بن العوام وتوجه مع قوات الدعم وشدد قبضة الحصار ، وبدأ الزبير بن العوام على الفور باستطلاع الحصون المحيطة ببابليون ، بينما انصرف عمرو بن العاص لتركيز المنجنيق بهدف ضرب المدينة ، وفي هذه الفترة وصل رسول من قبل المقوقس يحمل رسالة جاء فيها :

(.. ابعثوا الينا رسلاً منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم الى ما عساه ان يكون فيه صلاح لنا ولكم ..)

– شكل عمرو بن العاص وفداً من عشرة أفراد فيهم عبادة بن الصامت ..

– كان عبادة بن الصامت شديد السواد ، وتظاهر المقوقس انه لا يرغب في الحديث مع « الاسود » لكن الوفد أصر على ان يكون عبادة هو الناطق باسمه ، ويحتمل ان يكون المقوقس قد أراد اختبار تماسك الوفد ومعرفة مقدار التلاحم بين افراده واثارة ناحية التفرقة باللون او الجنس ، لكن تصميم الوفد أحبط مخطط المقوقس ، وارغمه على قبول التفاوض معه ..

– دارت المحادثات في اطار من الترغيب والترهيب والشد والجذب واظهر عبادة تمسكه بمبادىء المفاوضات الثلاثة ، الدخول في الاسلام أو دفع الجزية أو الحرب .

– كانت المعارك مستمرة خلال فترة المفاوضات ، وأبصر الزبير بن العوام ثغرة في احد التحصينات فقال للمسلمين :

(.. اني اهب نفسي لله ، ارجو ان يفتح الله بذلك على المسلمين [١])

---

(١) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ١٠٤ ، والبلاذري ٢١٥ .

ووضع سلماً في ناحية «سوق الحمام» وصعد بعد ان امر المقاتلين بالاجابة على تكبيرته جميعاً عندما يكبر فوق السور ..

- وصعد الزبير بن العوام، وارتفع صوته مكبراً فوق السور، وتدافع المسلمون على السلم حتى نهاهم عمرو خوفاً من ان ينكسر، ونظم عملية الصعود ..

- عندما اقتحم الزبير ومن تبعه الاسوار، ارتفع صوت المسلمين بالتكبير خارج الحصن، وانتشر الرعب في صفوف الحامية المدافعة عن المدينة وظنوا ان المسلمين جميعاً قد اقتحموا الحصن فأسرع الزبير واصحابه الى باب الحصن وفتحوه واندفعت جموع المقاتلين للقضاء على المقاومات.

وسقط حصن بابليون بعد حصار استمر سبعة اشهر.[1]

١١ - اتفاقية الصلح :

- استمرت المباحثات بين الوفد العربي - الاسلامي بقيادة عبادة بن الصامت وبين المقوقس حاكم مصر، وانتهى الامر بتوقيع اتفاقية للصلح.

- بسم الله الرحمن الرحيم -

هذا ما اعطى عمرو بن العاص اهل مصر من الأمان على انفسهم وملتهم واموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ولا يساكنهم النوب، وعلى اهل مصر، ان يعطوا الجزية اذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين الف الف، وعليهم ما جنى لصوتهم فان ابى احد منهم ان يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم وذمتنا ممن أبى بريئة . وان نقص نهرهم من غايته اذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك . ومن دخل

---

(١) يرى بعض المؤرخين ان بابليون هي قصر الشمع، ومكانه الآن الدير المحرق في مصر القديمة، وقد بني هذا القصر بعد تدمير مصر من قبل نبوخذ نصر - بخت نصر - وهناك اختلاف بين المؤرخين حول التاريخ الذي شيد فيه القصر وفيمن انشأه من الملوك، وكان الشمع يوقد على هذا القصر في رأس كل شهر حتى يعلم الناس بانتقال الشمس من برج الى برج ..

في صلحهم من الروم والنوب فله مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه او يخرج من سلطاننا وعليهم ما عليهم أثلاثاً في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم على ما في هذا الكتاب ، عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة امير المؤمنين وذمم المؤمنين ، وعلى النوبة الذين استجابوا ان يعينوا بكذا وكذا رأساً وكذا .. وكذا فرساً على ان لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة .

شهد الزبير بن العوام وعبد الله ومحمد ابناه وكتب وردان [1]

– اشترط المقوقس لتطبيق الاتفاقية الحصول على موافقة هرقل ، ملك الروم ، وارسل المقوقس يعلم هرقل باتفاقه مع العرب المسلمين ، فجاءه جواب هرقل :

(.. انما اتاك من العرب اثنا عشر الفاً ، وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال واحبوا اداء الجزية الى العرب واختاروهم علينا فان عندك بمصر من الروم بالاسكندرية ومن معك اكثر من مائة الف ، معهم العدة والقوة ، والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت فعجزت عن قتالهم ورضيت ان تكون انت ومن معك من الروم حتى تموت او تظهر عليهم ؟ انهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم كأكلة ، فناهضهم القتال ولا يكون لك رأي غير ذلك ..

– وكتب هرقل ملك الروم كتاباً مماثلاً الى قادته من الروم ..

– اقبل المقوقس الى عمرو بن العاص وقال له :

(.. ان الملك قد كره ما فعلت وعجزني ، وكتب الي والى جماعة الروم ألا نرضى بمصالحتك وامرهم بقتالك حتى يظفروا بك او تظفر بهم ، ولم اكن

---

(١) الكامل ، لابن الاثير ٢ - ٣٩٦ ، وفي ابن خلدون بدل قوله هنا (وعليهم ما جنى لصوتهم) وعليه ممن جنى نصرتهم وهو غلط والصواب ما هنا واللصوت جمع لصيت وهو اللص .

لأخرج مما دخلت فيه وعاقدتك عليه ، وانما سلطاني على نفسي ومن اطاعني ، وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ، ولم يأت منهم نقض وانا متم لك على نفسي والقبط متمون لك الصلح الذي صالحتهم وعاهدتهم ، وأما الروم فأنا منهم بريء وانا اطلب اليك ان تعطيني ثلاث خصال :

١ ـ الا تنقض بالقبط ، وادخلني معهم والزمني ما لزمهم ، وقد اجتمعت كلمتي وكلمتهم على ما عاهدتك عليه فهم متمون لك على ما تحب .

٢ ـ ان سألك الروم بعد اليوم ان تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيئاً وعبيداً فانهم اهل ذلك لاني نصحتهم فاستغشوني ونظرت لهم فاتهموني .

٣ ـ اطلب اليك ان انا مت ان يدفنوني في ابي بجينس بالاسكندرية [١].

ـ وهكذا تم تتويج النضال المسلح باتفاقية للصلح تنظم علاقات المجتمع الجديد وترسخ اسسه على قواعد واضحة .

ـ وكان من اول نتائج هذه الاتفاقية خلق انقسام بين جماهير شعب مصر وبين سلطة الاحتلال البيزنطية ..

—★—

ـ مرت فترة ايام اربعة بين سقوط بابليون وبين توقيع اتفاقية الصلح ، وحدث خلالها قتال ، واعتبر العرب ان ما حصلوا عليه من سبي هو حق لهم . وبلغ عمر بن الخطاب ذلك ، فرد السبي الخاص بمن لم يقاتل المسلمين خلال الايام الاربعة واعاده الى اهله .

ـ بلغ عمرو بن العاص ان القبط يقولون : (**.. ما أرث العرب ، وأهون عليهم انفسهم ما رأينا مثلنا دان لهم ؟ نخاف ان يطمعهم ذلك ، فأمر بجزر [٢] فذبحت وطبخت بالماء والملح ، ودعا امراء الاجناد فاعلموا اصحابهم فحضروا**

(١) فتح مصر والمغرب ، ابن الحكم ١٠٤ ـ ١٠٥ .
(٢) جزر ، جمع جزور يقع على الذكر والانثى من الابل وفي الاصل جزور .

عنده وأكلوا أكلاً عربياً ابتشكوا[1] وحشوا وهم في العباء بغير سلاح فازداد طمعهم ، وأمر المسلمين ان يحضروا الغد في ثياب اهل مصر واحذيتهم ففعلوا وأذن لأهل مصر فرأوا غير ما رأوا بالامس ، وقام عليهم القوام بألوان مصر فأكلوا اكل اهل مصر (ونحوا نحوهم) فارتاب القبط ، وبعث ايضاً الى المسلمين تسلحوا للعرض غداً ، وأذن لهم فعرضهم عليهم وقال لهم : علمت حالكم حين رأيتم اقتصاد العرب فخشيت ان تهلكوا فاحببت ان اريكم حالهم في ارضهم كيف كانت ، ثم حالهم في ارضكم ثم حالهم في الحرب فقد رأيتم ظفرهم بكم وذلك عيشهم وقد كلبوا على بلادكم بما نالوا في اليوم الثاني[2] ، فاردت ان تعلموا ان ما رأيتم في اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثاني وراجع الى عيش اليوم الاول ..) .

وتفرق القوم وهم يقولون : (لقد رمتكم العرب برجلهم ..)

وعلم الخليفة عمر بما فعله عمرو بن العاص فقال :

(.. والله ان حربه لمنية ما لها سطوة ولا سورة كسورات الحروب من غيره ..) .

ـ انصرف عمرو بن العاص الى اعادة تنظيم قواته ، وارساء دعائم المجتمع الجديد،واجرى مقام الصلح ما أخذه عن طريق الحرب بهدف اكتساب عواطف جماهير الشعب المصري .

وخلال مرحلة اعادة التنظيم هذه وجه عمرو بن العاص قوة قتالية بقيادة عبد الله بن حذافة السهمي بمهمة فتح عين شمس ، فغلب عبد الله على ارضها وصالح اهل قراها على مثل صلح الفسطاط ..

---

(١) ابتشكوا : اسرعوا .

(٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٢ ـ ٣٩٦ ، وفي الطبري يذكر هنا العبارة التالية : (وقد كلبوا على بلادكم قبل ان ينالوا منها ما رأيتم في اليوم الثاني ..) وهي اكثر وضوحاً .

– ووجه ايضاً خارجة بن حذافة العدوي فصالح اهـــل قرى الفيوم والاشمونين واخميم والبشر ودات وقرى الصعيد على مثل صلح الفسطاط ..

– كما وجه في الوقت ذاته بمجموعـة قتالية ثالثة بقيادة عمير بن وهب الجمحي الى تنيس ودمياط وتونة ودميرة وشطا ودقهلة ونبا وبوصير فصالح اهلهـا على مثل صلح الفسطاط [١] ..

– ووجه عقبة بن عامر الجهني ، ويقال وردان مولاه الى سائر قرى اسفل الارض ففعل مثل ذلـك ، وبذلك استجمع عمرو فتح مصر فصارت ارضها ارض خراج [٢] .

– عندما انتهى عمرو بن العاص من اعادة تنظيم قوته ، وعرف انه قادر على الانطلاق لمتابعة عملياته من قاعدة قوية ومأمونة ، استأذن الخليفة عمر في فتح الاسكندرية فأذن له بذلك ، فاستخلف على مصر خارجة بن حذافـة العدوي وانطلق بقواته في اتجاه الشمال ..

١٢ – في الطريق الى الاسكندرية :

طرنوط ، في بداية فتح الدلتا [٣]

– خرج عمرو بن العاص بالمسلمين من بابليون ، وخرج معه جماعة من رؤساء القبط ، وكان القبط يدعمون قوات المسلمين ، فيصلحون لهم الطرق ، ويقيمون الجسور والاسواق ، ويقدمون العون والامداد وكل ما هو ضروري للقتال ومن مواد التموين .

---

(١) فتوح البلدان ، البلاذري ٣٠٤ .

(٢) فتوح البلدان ، البلاذري ٢١٨ .. والمقصود بأسفل الارض منطقة الدلتا .

(٣) طرنوط او ترنوط او الطرانة كما يسميها العرب ، مدينة قديمة كان عندها معبر فوق النيل للذهاب الى الاسكندرية ، ومنها يبدأ الطريق المؤدية الى اديرة القبط في صحراء ليبيا ، اما ترنوط الحالية فهي قرية على النيـــل بمركز النجيلة المسمى الآن مركز كوم حماده من اعمال محافظة البحيرة ، وكان بها معاصر قصب السكر وبساتين كثيرة تتزود منها الاسكندرية بالفاكهة .

– توفرت المعلومات عند قيادة الروم حول تحرك عمرو بن العاص واستعداده القتالي وقوة جيشه فأخذوا في الاستعداد لمجابهته .

– كان على قيادة المقدمة عبد الله بن عمرو بن العاص ، وكان حامل لواء المقدمة وردان مولى عمرو بن العاص ، ومن المحتمل ان يكون عمرو بن العاص قد اختار السير على الضفة الغربية للنيل في جهة الصحراء بسبب اتساع المجال لعمل الخيل وبحيث لا يعيق تحركها الترع والقنوات في دلتا النيل .

– عندما وصلت قوات المقدمة الى « طرنوط » اصطدمت بقوة متقدمة الروم وحدثت بين المقدمتين معركة قصيرة وحاسمة انتهت بهزيمة قوة الروم وفرارها من أرض المعركة ..

– وتابع الجيش تقدمه حتى نقيوس فتصدى القائد دومينتانوس لجيش المسلمين ووقعت معركة طاحنة انتهت بهزيمة قوات الروم ، وانطلقت فلول القوات المنهزمة في اتجاه الشمال ..

– اصدر عمرو بن العاص اوامره بتشكيل قوة من الفرسان تحت قيادة شريك بن سمي لمطاردة فلول قوات العدو .

– نجحت قوات الروم في تنظيم مقاومتها على بعد ستة عشر ميلاً الى الشمال من طرنوط ، ودارت معركة شرسة كان التفوق فيها لصالح قوات الروم ، ووقعت قوات شريك في موقف حرج ، فأرسل شريك مراسلاً يعلم عمرو بن العاص بخطورة الموقف ويطلب دعمه بالقوات وعندما وصلت المعلومات عن اقتراب قوات دعم المسلمين ، اخذت قوات الروم في الفرار بعد ايام ثلاثة من القتال ، وقد اطلق على هذا الموضع الذي حدث فيه القتال باسم القائد العربي وهو معروف الى اليوم باسم كوم شريك ، وهي قرية من قرى كوم حمادة ..

– تابعت قوات العرب المسلمين تقدمها حتى وصلت سلطيس[1] ووقعت

---

(١) سلطيس ، كذا في الاصل ، وصواب الاسم سنطيس ، وهي قرية كبيرة في منتصف المسافة تقريباً بين كوم شريك والكديون على ستة اميال في جنوب دمنهور .

معركة ضارية قاتلت فيها قوات الطرفين بشجاعة وعناد ، ولكن المعركة انتهت بانتصار قوات المسلمين ، وأخذت قوات الروم في الفرار من القتال في اتجاه الاسكندرية .

١٣ ـ الكريون ، آخر معركة قبل الاسكندرية [١] :

ـ كانت مدينة الكريون آخر حصن من سلسلة الحصون الممتدة للروم بين حصن بابليون والاسكندرية ، وكان للمدينة حاكم تحت قيادته قوة من الفرسان والمشاة ـ مسلحة ـ وكان لها خطر كبير في الحرب نظراً لاشرافها على الترعة التي تعتمد عليها الاسكندرية في طعامها وشرابها ، لكن حصونها لم تكن في القوة والمنعة على مثل ما كان عليه حصن بابليون او حصن نقيوس او حصون الاسكندرية ..

ـ وصلت القوات المتقدمة للعرب المسلمين بقيادة عبد الله بن عمرو وحامل اللواء وردان مولى عمرو ، واشتبكت هذه القوات مع الحامية المدافعة عن المدينة ، ودارت رحى معركة ضارية قاتل فيها الروم بعناد كبير واصيب عبد الله بجراح كثيرة ، فقال لوردان: (**... لو تقهقرت قليلاً نصيب الروح ..**) فأجابه وردان : (**... الروح تريد ؟. الروح امامك وليس هو خلفك ..**) [٢]

وصمد عبد الله ، وثبت المسلمون ، ونجح عبد الله في احراز بعض التقدم ، وعلم عمرو بن العاص باصابة ابنه بجراح فأرسل من يستطلع له خبره ، ووصل المراسل فسأل عبد الله عن جراحه فأجابه :

اقول اذا ما جاشت النفس اصبري ... فعما قليل تحمدي او تلامي

---

(١) الكريون : مدينة قديمة ، زارها ابن حوقل ، وذكر عنها في كتابه أنها كانت في أيامه مدينة عظيمة جميلة على دفتي ترعة الإسكندرية ، وكان التجار يركبون منها القوارب إلى الفسطاط أيام الصيف عندما يرتفع مستوى مياه النيل ، وكان يتم إمداد الإسكندرية بالحبوب والقمح عن طريق الكريون

(٢) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ١١٥

ويروى البيت ايضاً :

اقول لها اذا جشأت وجاشت رويدك تحمدي او تستريحي

ورجع المراسل الى عمرو ليقول له ما ذكره ابنه ، وعندها قال عمرو :

هو ابني حقاً ..

– استمرت معركة الكديون بضعة عشر يوماً ، صبر فيها العرب المسلمون صبراً كبيراً وقاتل الروم ببسالة ، لكن تصميم العرب وصبرهم كان أقوى من شجاعة الروم وتفوقهم العددي فنجحوا في النهاية بانتزاع النصر ، وسقطت حصون الكريون في قبضة المسلمين ، وتمزقت الحامية المدافعة عن المدينة فأخذ افرادها يبحثون عن طريق النجاة الى الاسكندرية ..

١٤ – فتح الاسكندرية الاول سنة ٢١ هـ – ٦٤١ م :

– كان للاسكندرية حصون منيعة وقوية لا سبيل للوصول اليها . وكانت هذه الحصون مضاعفة بحيث تستطيع الحصون الخلفية دعم الحصون الامامية .

– وكان هرقل ملك الروم قد دعم الاسكندرية بقوات كبيرة حتى وصل عدد افراد الحامية المدافعة عنها الى مائة الف مقاتل ١٠٠,٠٠٠ ، وكان هدف هرقل من ذلك هو :

١ – الاحتفاظ بالاسكندرية كقاعدة متقدمة للهجوم المضاد من اجل انتزاع مصر من قبضة العرب المسلمين .

٢ – الاحتفاظ بالاسكندرية كقاعدة بحرية توفر للأساطيل البيزنطية ما تحتاجه من امداد وتموين ..

ولا أدل على اهتمام بيزنطة بالاسكندرية مما قاله هرقل عندما بلغه تقدم العرب المسلمون في اتجاه مصر ووصولهم الى بابليون ..

[.. لئن ظهرت العرب على الاسكندرية فان ذلك انقطاع ملك الروم

وهلاكهم لانه ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الاسكندرية ..][1]

ونتيجة لذلك اصدر هرقل اوامره الى أجهزة دولته بالاستعداد للانتقال الى الاسكندرية حتى يستطيع مباشرة قيادة الأعمال القتالية فيها بنفسه ، وأمر بألا يتخلف عنه أحد من الروم ..

– أنهى هرقل استعداداته ، وكان العرب لا زالوا على حصار بابليون، وكان المقوقس قد عقد معهم اتفاقية للصلح ، وعندما وضع هرقل مخططه للانتقال الى الاسكندرية وافتـه المنية ، فمات في يوم الاحد ١١ فبراير ـ شباط ـ ٦٤١ ، وكان لموته في تلك الفترة الحرجة أثر كبير وحاسم في احباط الارادة القتالية لبيزنطة وأخذ جمع كبير في الرجوع الى بيزنطة بعد ان كان متوجهاً الى الاسكندرية ..

– انطلقت قوات العرب المسلمين بعد معركة الكريون واخذت في ضرب حصار حول الاسكندرية ، فنزل عمرو بن العـاص في حلوة وانتشرت قوات العرب المسلمين من حلوة حتى قصر فارس والى ما وراءه كما نزل رؤساء القبط مع المسلمين وأخذوا على عاتقهم امداد جيش المسلمين بما يحتاجه من أطعمة وأغذية ومتطلبات للمقاتلين وخيولهم ..

– طال حصار الاسكندرية ،وحدثت خلال فترة الحصار مجموعة من المعارك الضارية [2] ، وشعر عمرو بن العاص ان أمـد الحصار سيطول نظراً لوصول امدادات مستمرة الى الحامية المدافعة عن المدينة بطريق البحر ، وخشي ان تحدث ردة في مصر ، فقرر العودة الى ام دنين ـ المعتس ـ للبقـاء في مركز متوسط من الدلتا للاشراف على إعادة تنظيم المجتمع واقامـة العلاقات الجديدة فيه ، واستخلف على رابطة الاسكندرية عبادة بن الصامت وعاد الى ام دنين بعد شهرين من حصار الاسكندرية ..

....

(١) و (٢) فتح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٩٨ – ١٠٣ – ١١٦

(٢) صلى عمرو بن العاص صلاة الخائف بسبب شدة هذه المعارك وقسوتها .

- استبطأ الخليفة عمر فتح مصر ، فكتب الى عمرو بن العاص رسالة جاء فيها : (١)

[.. اما بعد ، فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر ، انكم تقاتلون منذ سنتين وما ذلك الا لِمَ احدثتم واحببتم من الدنيا ما احب عدوكم وان الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً الا بصدق نياتهم ، وقد كنت وجهت اليك اربعة نفر واعلنتك ان الرجل منهم مقام الف رجل على ما كنت اعرف الا ان يكونوا قد غيرهم ما غير غيرهم ، فاذا اتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم في الصبر والنية ، وقدم اولئك الاربعة في صدر الناس ومُر الناس جميعاً ان يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد ، وليكن ذلك عند زوال يوم الجمعة فانها ساعة تنزل الرحمة ووقت الاجابة وليعج الناس الى الله ويسألونه النصر على عدوهم ..] .

- جمع عمرو بن العاص المسلمين ، وقرأ عليهم رسالة الخليفة ، وعقد لواء القوات لعبادة بن الصامت فنظم عملية الهجوم بعد استطلاع دقيق ، وقام بهجوم حاسم اظهر فيه المقاتلون من الشجاعة والتصميم ما ساعدهم على اقتحام أسوار المدينة .

وسقطت الاسكندرية في يد عبادة بن الصامت بعد اربعة اشهر من الحصار ، على أثر سقوط الاسكندرية تم توقيع معاهدة للصلح مع العرب المسلمين كانت اكثر نقاطها أهمية ما يلي :

١ - فرض الجزية على كل فرد لا يرغب في الاسلام بمقدار دينارين على الفرد الواحد .

٢ - اقامة هدنة لفترة احد عشر شهراً يتم خلالها جلاء الروم عن الاسكندرية .

٣ - بقاء العرب المسلمون في مواقعهم خلال فترة الهدنة وايقاف الأعمال القتالية بين الطرفين .

---

(١) فتح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٩٨ - ١٠٣ - ١١٦

٤ ـ عدم تعرض المسلمون للكنائس وعدم التدخل في امور المسيحيين.

٥ ـ يسمح للحامية البيزنطية ان يحملوا معهم عند جلائهم ما يملكون من اموال وأمتعة مع دفع جزية شهر عند رحيلهم ..

٦ ـ السماح لليهود بالبقاء في الاسكندرية .

٧ ـ تسليم ١٥٠ مقاتلاً من جند الروم و ٥٠ من الحكام حتى يكونوا رهائن عند المسلمين خلال مرحلة تنفيذ الاتفاقية .

ـ وجمع بعد ذلك جمع السبي والنصارى بحضور حاكم الاسكندرية ، وخيروهم فرداً فرداً فمن اختار المسلمين كبروا ، ومن اختار النصارى جزعوا عليه وفرضوا عليه الجزية . واستثني من الجزية النساء والشيوخ والاطفال والعاجزين عن دفعها من الفقراء ..

ـ التزاماً من عمرو بن العاص باتفاقيته مع المقوقس بمنح الحرية الدينية ، ارسل عمرو بن العاص كتاباً الى البطريق « بنيامين » أعاد له « الحرية والامن » بعد ان مضى عليه طريداً شريداً مدة ثلاث عشرة سنة ، فقدم البطريق بنيامين الى الاسكندرية واستقبل فيها استقبالاً جيداً، وألقى على مسامع عمرو بن العاص خطاباً بليغاً ضمنه ما يراه ضرورياً من مقترحات للحفاظ على كيان الكنيسة ، فقبلها عمرو ومنحه الصلاحية التامة لادارة شؤون الكنيسة . ووقف اسقف نقيوس بدير مقاريوس يرحب بالبطريق بنيامين يشرح ما قام به من تضحيات في سبيل الكنيسة القبطية ، فوقف بنيامين يرد على باسيلي اسقف نقيوس وكان مما قاله :

[.. لقد وجدت في مدينة الاسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت انشدهما بعد الاضطهادات والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون..] (٢)

....

(١) فتوح البلدان للبلاذري ٢٨٨ ، والولاة للكندي ص٩ ، وفتوح مصر لابن الحكم ١١٧ ، والكامل في التاريخ لابن الاثير ٣٩٧ .

(٢) تاريخ الاسلام ، الدكتور حسن ابراهيم ١ ـ ٢٤٠ .

- وكان لهذه السياسة التي اتبعها عمرو بن العاص دور حاسم في تحقيق الأمن والاستقرار خلال مرحلة بناء المجتمع الجديد، مجتمع العرب المسلمين ..

- لم يخسر العرب المسلمون في معركة فتح الاسكندرية اكثر من ٢٢ رجلا [١] وعندما تمت عملية الفتح، قسم عمرو بن العاص الفيء على المقاتلين وبعث الخمس الى الخليفة عمر ومعه سبي بلهيت والخنيس وسلطيس، على اعتبار ان هذه البلدان فتحت حرباً، كما ارسل مع الوفد الرسالة التالية :

[.. اما بعد، فاني فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير أني أصبت منها اربعة آلاف منية بأربعة آلاف حمام واربعين الف يهودي عليهم الجزية واربعمائة ملهى للملوك ..] [٢]

- كان عدد الروم في الاسكندرية من الرجال مائتي الف، وكان بها مائة مركب حملت ثلاثون ألفاً من كبارهم وقادتهم ومعهم ما قدروا عليه من المال والمتاع والاهل وبقي من بقي أسارى في يد المسلمين، وتم احصاء من فرض عليهم الخراج فكانوا ستمائة الف رجل سوى النساء والأولاد .

- وكان في الاسكندرية عدد كبير من اليهود رحل في الليلة التي دخلها عمرو بن العاص او في الليلة التي خافوا فيها دخول عمرو سبعين الف يهودي وبقي اربعون الفاً ..

- عندما وصل السبي الى المدينة، اعاده الخليفة عمر الى مصر بهدف اعادة بناء مجتمع مصر على أسس وطيدة وثابتة، بعيدة عن الظلم والاضطهاد وكان لذلك دور كبير في اكتساب عواطف جماهير الشعب والتفافها حول العرب المسلمين ..

١٥ - خراب خربة وردان :

- الخربة قرية صغيرة كانت في طريق الاسكندرية، وكان اهلها رهباناً

....

(١) فتوح مصر والمغرب، ابن الحكم ١٢١ .
(٢) فتوح البلدان، البلاذري ٣٠٣ .

كلهم، فغدروا بقوم من ساقة عمرو بن العاص فقتلوهم بعد ان بلغ عمرو الكريون وعندما وصلت اخبار ما فعلته هذه القرية الى عمرو بن العاص اوقف تقدمه وأرسل مجموعة قتالية بقيادة مولاه وردان ، فقتل اهلها ودمر القرية ولم يبق حتي الآن منها سوى اطلال تشهد على الغدر وعاقبته على اهله ..

١٦ – رابطة الاسكندرية :

– لما استقامت البلاد وفتح الله على المسلمين الاسكندرية ، قطع عمرو بن العاص من اصحابه لرباط الاسكندرية ربع الناس خاصة ، الربع يقيمون ستة أشهر ثم يعقبهم شاتية ستة اشهر ، ربع في السواحل، والنصف الثاني مقيمون معه.

– وكان الخليفة عمر بن الخطاب يبعث في كل سنة غازية من اهل المدينة ترابط بالاسكندرية ، وكانب الولاة لا تغفلها وتكثف رابطتها وتأمين الروم عليها [١] .

١٧ – فتح برقة [٢] وزويلة [٣]

– اراد عمرو بن العاص تصفية قواعد بيزنطة في شمال افريقيا وتأمين الجبهة الغربية لمصر ، فاستخلف على الاسكندرية عبد الله بن حذافة السهمي ، وقاد جيشه متوجهاً نحو الغرب ، متبعاً في تقدمه المحور الساحلي ..

– وصلت قوات العرب المسلمين الى برقة ، وعقد عمرو بن العاص صلحاً مع اهلها على اساس دفع الجزية ، وتوقف عمرو بن العاص في برقة ووجه مجموعة قتالية بقيادة عقبة بن نافع الى « الزويلة » في قلب الصحراء ، فصالح اهلها على مثل صلح برقة .. [٤]

....

(١) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٢٥٨ .

(٢) برقة ، اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن ، وبين الاسكندرية وبرقة مسيرة شهر ـ معجم البلدان ٢ - ١٣٣ .

(٣) زويلة : بلدان احدهما زويلة السودان مقابل اجدابية في البر بين بلاد السودان وافريقية أو زويلة في وسط الصحراء هي أول حدود بلاد السودان ـ معجم البلدان ٤ - ٤١٨ .

(٤) فتوح البلدان ، البلاذري ٣١٤ ، الكامل في التاريخ ٣ - ١٠ .

١٨ ـ فتح أطرابلس[١] سنة ٢٢ هـ ـ ٦٤٢ م :

سار عمرو بن العاص حتى نزل أطرابلس ، وتحصن اهلها فحاصرها عمرو ، ومضى شهر والمدينة ممتنعة على المسلمين ، ثم خرج رجل من بني مدلج للصيد ومعه سبعة من رفاقه المقاتلين وتوجهوا غرب المدينة حتى انفصلوا عن المعسكر ، ثم رجعوا ، فأصابهم الحر فأخذوا على ضفة البحر ، وكان البحر لاصقاً بسور المدينة ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور ، وكانت سفن الروم شارعة في مرساها الى بيوتها ..

ـ نظر المدلجي واصحابه فاذا البحر قد غاض من ناحية المدينة ، ووجدوا مسلكاً اليها من الموضع الذي غاض فيه البحر فدخلوا فيه حتى أتوا من ناحية الكنيسة وكبروا ، فلم يكن للروم مفزع إلا سفنهم ، وأبصر عمرو وأصحابه المتسللين الى قلب المدينة ، فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم ، فلم تفلت الروم إلا بما خف لهم في مراكبهم ، وغنم عمرو ما كان في المدينة .[٢]

ـ كان اهل بسبرت[٣] متحصنين ، وقد اطمأنوا بعد ان بلغهم امتناع أطرابلس على جيش العرب المسلمين وصمودها في وجههم ، ولهذا اسرع عمرو بن العاص الى توجيه مجموعة قتالية من الفرسان في ذات الليلة التي تم فيها فتح أطرابلس وأمر قائد المجموعة بالاسراع في سيره حتى يستطيع مباغتة سبرت ..

ـ وصلت المجموعة القتالية مع اول ضوء من النهار ، وفتح اهل مدينة سبرت ابواب مدينتهم وأطلقوا ماشيتهم للرعي ، فباغتهم العرب المسلمون

---

(١) أطرابلس : مدينة في آخر أرض برقة وأول أرض افريقية ، معجم البلدان ١ ـ ٢٨٥ و ٦ ـ ٣٤ ، واسمها الآن : طرابلس وهي مدينة كبيرة على البحر الابيض المتوسط وهي العاصمة الثانية لليبيا والعاصمة الاولى هي بنغازي .

(٢) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٢٣١ . وفتوح البلدان ٣١٦ .

(٣) سبيرت ، اسمها نبارة ، وسبرت السوق القديم وربما نقله الى نبارة عبد الرحمن بن حبيب سنة ١٣١ هـ .

بالهجوم ودخلوا المدينة، وبعد ان فتحوها ، عادوا الى مقر قيادة عمرو بن العاص في أطرابلس ..

– توقف عمرو بن العاص في أطرابلس ، وارسل الى الخليفة عمر بن الخطاب رسالته التالية :

[.. ان الله قد فتح علينا اطرابلس ، وليس بينها وبين افريقية الا تسعة ايام فان رأى امير المؤمنين ان يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل ..] .

وجاء رد الخليفة :

[.. لا ، انها ليست بافريقية ولكنها المفرقة ، غادرة مغدور بها ، لا يغزوها احد ما بقيت ..] (١)

– وتوقفت عملية الفتح غرب مصر عند أطرابلس ، واستخلف عمرو بن العاص على ليبيا عقبة بن نافع الفهري ، ثم عاد الى الفسطاط بعد أن أكمل فتح « ليبيا » ..

١٩ – فتح الاسكندرية الثاني ٢٥ هـ – ٦٤٥ م :

– كان أمراً محتماً أن تصاب مصالح بعض اهالي مصر بالضرر ولا سيما الطبقة الغنية منهم ، وكان لا بد من بقاء بعض الروابط بين حكام بيزنطة وبين بعض انصارهم من سكان البلاد بسبب طول عهد حكم بيزنطة لمصر ، ونتيجة لذلك ، فقد عمد بعض اهل الاسكندرية الى كتابة الرسائل وارسالها الى بيزنطة يطلبون دعمها للقيام بثورة مضادة .

– وجه قسطنطين بن هرقل ملك بيزنطة الى مصر قوة مكونة من حمولة ثلاثمائة مركب يقودها « منويل » الخصي ، فنزلت هذه القوة بالاسكندرية وانضمت اليها بقية قوة الروم .

– حافظ المقوقس على اتفاقية الصلح مع المسلمين ، فلم يدعم قوة الروم

(١) فتوح البلدان ، البلاذري ٣١٦ ، فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٢٣٢ .

وانضم اليه من اطاعه من القبط وأما الروم فلم يطعه منهم أحد ..

- كان الخليفة عثمان بن عفان قد اصدر امره بعزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد ، فلما نزلت الروم بالاسكندرية سأل اهل مصر عثمان ان يقر عمرواً حتى يفرغ من قتال الروم،فان له معرفة بالحرب وهيبة في العدو ففعل[1].

- تقدم عمرو بن العاص بجيشه واقترح عليه خارجة بن حذافة الاسراع للقاء الروم قبل انطلاقهم من الاسكندرية وكان مما قاله له :

[.. ناهضهم قبل ان يكثّر مددهم ، ولا آمن ان تنتقض مصر كلها ..] .

فأجابه عمرو : - [لا .. ولكن أدعهم حتى يسيروا الي فانهم يصيبون من مروا به ، فيخزي الله بعضهم ببعض ..]

وهكذا تعمد عمرو بن العاص التأخر في مجابهة الروم بهدف اقناع اهالي البلاد وجماهيرها ، عن طريق التجربة المباشرة،بالفارق بين اسلوب التعامل مع العرب المسلمين واسلوب معاملة الروم لأهالي البلاد ..

- خرج الروم من الاسكندرية ، فجعلوا ينزلون القرية فيشربون خمورها ويأكلون اطعمتها وينتهبون ما مروا به ،فلم يعرض لهم عمرو حتى بلغوا نقيوس.

- وصل عمرو بن العاص وجيشه المكون من خمسة عشر الف مقاتل الى نقيوس[2] ودارت معركة عنيفة بين الروم والمسلمين ، كان مسرحها في البر والبحر ، ثم انضمت قوات الروم كلها في صفوف متعاقبة ، وصمد المسلمون صموداً رائعاً وقاتلوا بعناد وبرز في المعركة اسم حومل ابا مذحج من زبيد حيث تمكن من القضاء على بطريق الروم .. وبذل البطارقة الذين احضرهم الروم معهم جهداً في اثارة حماسة مقاتلي الروم ، لكن عمرو بن العاص نجح في انتزاع النصر

....

(١) فتوح مصر والمغرب ٢٣٥ . البلاذري ٣٠٩ .

(٢) نقيوس : من المدن المصرية القديمة ، زالت ولم يبق منها سوى كوم أثري موجود في الجهة البحرية من سكن زاوية رزين بمركز منوف المعروف عند الاهالي هناك باسم كوم مانوس ، او : وقيانوس ، وهما محرفان من نقيوس .

واخذت قوات الفرسان تطارد فلول الروم حتى وصلوا الاسكندرية وتحصنوا بها.

– امتنع الروم بالإسكندرية ، مما أثار عمرو بن العاص [فأقسم لئن اظهره الله عليهم ليهدمن سورها ...]

– جهز عمرو بن العاص قواته ، ونظم هجومه بحيث يتم الانقضاض على الاسكندرية براً وبحراً ، كما وضع المنجنيق لتهديم أسوار المدينة ودعم الهجوم .

– قامت قوات العرب المسلمين بهجوم حاسم ، ونجحت في اختراق المدينة وقتل قائد قوات الروم « منويل » وامعن عمرو بن العاص في قتال الروم داخل الاسكندرية ثم كلم في ذلك ، فأمر برفع السيف عنهم وبنى في ذلك الموضع المسجد المعروف باسم « مسجد الرحمة » ثم اصدر عمرو بن العاص اوامره بهدم اسوار الاسكندرية . وكان اول ما فعله عمرو بن العاص بعد ذلك هو رد الأموال والمتاع مما نهبه الروم وارجاعه الى أصحابه الذين يظهرون بينة على ملكية المتاع الخاص بهم ..

٢٠ – تأمين الحدود الجنوبية لمصر – ٢١ هـ :

– اراد عمرو بن العاص تأمين الحدود الجنوبية لمصر وذلك قبل التوجه لفتح الاسكندرية فشكل مجموعة قتالية بقيادة عقبة بن نافع الفهري ووجهها الى النوبة ، واصطدمت هذه المجموعة القتالية بمقاتلي النوبة ، وقد أفاد هؤلاء من طبيعة الارض ، واتقانهم الاختفاء والتمويه واستخدام السهام والنبال على نطاق واسع فأوقعوا في صفوف المسلمين اصابات كبيرة ، وكانت اكثر الاصابات في عيون المقاتلين . واستمر عمرو بن العاص بعد ذلك في توجيه المقاتلين الى ان جاء عبد الله بن سرح فعقد صلحاً مع اهل النوبة ..

القسم الأول

الفصل الثالث

الدروس المستقاة من عمليات فتح مصر

١ ـ اعطاء الأفضلية لمسارح العمليات ومحاور الهجوم .

٢ ـ الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة .

٣ ـ المباغتـــة .

٤ ـ الحفاظ على الهدف .

٥ ـ وحدة القيادة .

٦ ـ كفاءة افراد القيادة العامة .

٧ ـ الهجوم .

٨ ـ اجبار الخصم على بعثرة قواته .

٩ ـ الحشد ومرونة الحركة :

١٠ ـ المطـــاردة .

١١ ـ التموين من مؤونة العدو نفسه .

١٢ ـ الحرب النفسية .

١٣ ــ التسلــــح .

١٤ ــ الروح المعنوية للمقاتلين .

١٥ ــ انشاء علاقات اجتماعية جديدة .

قراءات

١ ــ عمرو بن العاص .

٢ ــ الزبير بن عوام .

٣ ــ عبد الله بن حذافة السهمي .

٤ ــ خارجة بن حذافة العدوي .

٥ ــ عمير بن وهب الجمحي .

٦ ــ عقبة بن عامر الجهني .

٧ ــ عبادة بن الصامت الانصاري الخزرجي .

٨ ــ مقتل الارطبون ..



الدروس المستقاة من عمليات فتح مصر

وقعت خلال فتح مصر مجموعة من المعارك كان فيها ميزان القوى كالتالي :

المعركة	قوة المسلمين	قوة الروم	ميزان القوى	ملاحظات
بلبيس	٣٥٠٠	١٠٫٠٠٠	واحد لثلاثة في صالح الروم	لم يذكر المؤرخون الأرقام الدقيقة بعد كل معركة . ولهذا فان هذه الأرقام تقريبية (١)
ام دنين	٣٥٠٠	٨٠٫٠٠٠	واحد الى عشرين في صالح الروم	
بابليون	٨٠٠٠	١٠٫٠٠٠	واحد الى واحد تقريباً	
الاسكندرية	٨٠٠٠	١٠٠٫٠٠٠	واحد مقابل اثني عشر في صالح الروم	

– ترى ما هو شكل الحوار الذي سيتم لو طرح ميزان القوى المذكور أعلاه للمناقشة ؟ وكيف سيكون الرد لو تقدم أحدهم في مؤتمر للحرب واعلن ان باستطاعته تنظيم هجوم بقوة أربعة آلاف أو ثمانية آلاف مقاتل ضد بلد يستطيع زج مائتي الف مقاتل ، بحيث يكون ميزان القوى واحد ضد عشرين ؟..

– ان الرد على هذا المشروع لو طرح – بأي شكل وعلى أية صورة – سيكون نظرة اشفاق أو ابتسامة سخرية على أقل تقدير ، وسيوصف المشروع بصورة عادية اما بالمقامرة المجنونة ، أو التهور الأحمق ، والمصير الحتمي الذي يتوقعه الجميع هو الفشل ..

....

(١) المرجع ، فتح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٨٦ – ١٠٤ – ٢٣٠ .

ـ لكن هـــذا لم يحدث عندما اقترح عمرو بن العاص فتح مصر وأمكن له تحقيق مشروعه .

ـ لقد جابه كثير من القادة مواقف مماثلة ، فقد جابه ـ غودريان ـ القائد الألماني موقفاً مماثلاً عندما اقترح القيام بهجومه عبر الحدود البلجيكية غـــداة الحرب العالمية الثانية، وأمكن له أيضاً تنفيذ اقتراحه بنجاح على الرغم مما جوبه به من احباط وسخرية ..

ـ وعودة الى عمليات فتح مصر .. وطرح سؤال :

ـ كيف استطاع عمرو بن العاص تحقيق انتصاراته المتتابعة حتى انتهى من فتح مصر ؟

ـ قد يكون من السهل ، الجلوس وراء مكتب دراسي مريح في غرفة وثيرة والقول بحسن نية أو سوء نية :

١ ـ لقد كانت هناك هوة فاصلة بين جهاز الحكم وبين جماهير الشعب في مصر.

٢ ـ لقد كانت هناك انقسامات دينية مزقت الشعب وأضعفت قدرته القتالية .

٣ ـ وكانت هناك نقاط ضعف في التنظيم القتالي للقوات البيزنطية .

ثم متابعة العملية بهدف انقاص أهمية القدرة القتالية للقوات العربية الاسلامية سواء على مستوى القيادات أو على مستوى القوات المقاتلة وبالتالي انقاص العامل الايديولوجي الذي خاضت القوات معاركها من أجله .

ـ ان للحرب قوانينها المعروفة وقواعدها الراسخة ومبادئها الثابتة وقـد خاضت قوات العرب المسلمين ـ قيادة ومقاتلين ـ حروبها وفق قواعـــد ثابتة وواضحة ،وان من أبسط المعطيات التي يمكن قولها في موضوع عمليات فتح مصر..

١ ـ كان فوق أرض مصر قوة مقاتلة يمكن حشدها في جبهة واحدة تضم مائتي الف مقاتل .

٢ ـ كان عمرو بن العاص يقود هجومه ضد اقليم غريب عنـــه بينما كانت

القوات المدافعة عن مصر تخوض معركتها فوق أرضها التي تعرفها معرفة جيدة وتحسن استخدامها .

٣ – وكانت القوات العربيـــة الاسلامية تقوم بالهجوم بينما كانت القوات الموجودة في مصر تخوض معركة دفاعية وكان من المفروض أن يحقق العرب تفوقاً بمعدل واحد الى ثلاثة على أقل تقدير ، بينما كان ميزان القوى بمعدل عشرة ضد واحد في صالح الروم .. هذه بعض المعطيات وليست كلها ..

– كانت أعمال الفتح معارك قتالية قبل كل شيء ، وللمعارك القتالية قواعدها ومبادئها ، وان ادراك أسباب النجاح يفرض تحليل هذه الأحداث التاريخيـة ووضعها في مكانها الصحيح ..

١ – اعطاء الافضلية لمسارح العمليات ، ومحاور الهجوم :

– لقد جاء تسلسل عمليات الفتح وفق الترتيب التالي :

١ – فتح العراق ١٢هـ . ٢ – فتح الشام ١٣هـ . ٣ – اكمال فتح العراق ١٤هـ

٤ – فتح مصر ٢٠ هـ . فتح ايران حتى ٢٢ هـ .

وبرهن هذا الترتيب على دوره الفعال في انجاح مسيرة العمليات ، فالقضاء على نفوذ بيزنطة في الشام ونفوذ فارس في العراق قد مهد السبيل لفتح مصر التي أصبحت معزولة عن قاعدتها الرئيسية – إلا عن طريق البحر – .

– لقد أصبحت مصر بعد فتح الشام بمثابة موقع جانبي معزول ، وكان لهذا العامل دوره الحاسم في إيقاف الامداد بالقوات والأعتدة عبر محاور الطرق الأرضية ..

– ترى ماذا كان سيحدث لو توجهت القوات العربية لفتح مصر قبل إكمال فتح الشام ؟ يقيناً ، الفشل هو الاحتمال الأكبر لمصير هذا الهجوم ..

– كان الخليفة عمر بن الخطاب هو الذي يقرر أهمية مسارح العمليات وهو الذي ينسق موضوع التعاون فيما بينها ، وما من ريب في أن تحقيق التوازن بين

هذه المسارح مع تنسيق التعاون بالنسبة لحجم القوى المتوفرة هو العامل الأول في نجاح العمليات على مسارح القتال المختلفة .

– وان ما أنجزه الخليفة عمر بن الخطاب في هذا المجال يحتل المرتبة الأولى في سلم « الافضليات الاستراتيجية » .

– أما انتقاء محور العمليات في مصر ، وتركيز الجهد على المحور الأكثر أهمية فقد ترك لعمرو بن العاص على أساس معرفته بالأرض ، وعلى أساس ما سيقوم به من استطلاع شخصي وجمع للمعلومات . واتبع عمرو بن العاص محور مجدل – القواصر – بلبيس – عين شمس – أم دنين – بابليون ثم الانطلاق جنوباً الى النوبة وشمالاً الى الدلتا ثم متابعة التقدم على المحور الصحراوي الغربي حتى الاسكندرية .. وكان تحديد عمرو بن العاص لهذا المحور، هو من العوامل الحاسمة لنجاح الاعمال القتالية في فتح مصر ..

– ترى ماذا كان سيحدث لو اتبع عمرو بن العاص المحور الساحلي حتى الوصول الى الاسكندرية ؟

١ – كان سيتعرض الى سلسلة غير محدودة من المقاومات التي تستنزف قوته .

٢ – وكان سيجابه قوة المقاومة الرئيسية في الاسكندرية مما سيضع قواته في مأزق خطير .

بينما استطاع في مسيرته على المحور الذي اختاره تحقيق ما يلي :

١ – فصل القبط عن البيزنطيين ، بمهاجمة نقاط الضعف قبل الاصطدام بالقوة الرئيسية .

٢ – تكوين قاعدة بشرية وادارية متينة تستطيع أن تقدم له دعماً كبيراً في متابعة العمليات .

٣ – عزل المقاومة الرئيسية في الاسكندرية عن كل دعم أرضي وتجريدها من كل امكانات في الامداد والتموين .

٤ – الاحتفاظ بقوته ، وحشدها في المناطق التي يريدها وفرض المعركة على العدو .

ان اتباع هذا المحور من قبل قوات عمرو بن العاص يذكرنا بالمحور الذي اتبعته القوات الانكليزية ـ الفرنسية أثناء عدوان عام ١٩٥٦ ، حيث تجنبت هذه القوات الاصطدام بالمدن الرئيسية واختارت محور قناة السويس ـ الطريق الزراعي ، بهدف الابتعاد عن كل مقاومة كبيرة ..

٢ ـ الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة :

ـ وضع « استالين » مبدأ استقرار المؤخرات في طليعة المبادىء الواجب اتباعها لاحراز النصر في الحرب، وقد حرص على تطبيق هذا المبدأ في كل معركة من معارك حرب التحرير الوطنية العظمى ، ١٩٤٢ ـ ١٩٤٥ ..

ـ وكان الخليفة عمر بن الخطاب قد عرف هذا المبدأ وحرص على تطبيقه في جميع أعماله ، فأصدر أوامره بالتوقف عند حدود النهر ـ نهر دجلة ـ وعدم التوغل في بلاد فارس حتى يتم الانتهاء من تكوين المجتمع العربي ـ الاسلامي الجديد والانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة ..

ـ وأصدر أوامره أيضاً بالتوقف عند « أطرابلس » وعدم تجاوزها للتوغل في « افريقية » حتى تتم عملية بناء المجتمع بحيث يمكن الانطلاق بعدها ومتابعة الفتوحات ..

ـ هذا على المستوى الاستراتيجي ..

ـ أما على المستوى التكتيكي، فمن الواضح جداً أن عمرو بن العاص قد طبق هذا المبدأ بدقة تامة حتى انه لم يتقدم من موقع إلى موقع آخر إلا بعد أن يصبح على ثقة تامة بقدرته على الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة .. وان هذا يوضح مبرر الابطاء في مسيرة العمليات حتى ان عملية الفتح استغرقت فترة عامين مما اضجر الخليفة عمر بن الخطاب ودفعه إلى استعجال عمرو بن العاص لانجاز فتح مصر ..

ـ حاصرت قوات العرب المسلمين فرما لمدة شهر وحاصرت بلبيس شهر وحاصرت بابليون أربعة أشهر ، كما حاصرت الاسكندرية أربعة أشهر فاذا

ما أضيف إلى مجموع هذه الفترات المستقطعة المدة الضرورية للسير ، وللمعارك التي تم تنفيذها في بعض المواقع فان هذه الفترة تصل إلى السنة .. ومعنى ذلك ان عمرو بن العاص لم يكن ينتقل من موقع إلى موقع آخر قبـــل اكمال اعادة تنظيم قاعدة انطلاقه ، وارساء دعائم المجتمع الجديد بحيث يتابع تقدمه من قاعدة مأمونة لا تتهددها أعمال القتال ..

ـ لقد كان أخذ عمرو بن العاص بمبدأ الحرص على استقرار المؤخرات من العوامل الأساسية والحاسمة في نجاح الأعمال القتالية التي خاضتها قوات العرب المسلمين خلال فتح مصر ..

٣ ـ المبـــاغتة :

ـ التطور الدائم من طبيعة الحرب والمباغتة دستورها وقانونها، ولعل اجماع القادة العسكريين والاستراتيجيين في العالم كله على وضع « المباغتة » في المرتبة الأولى من مبادىء الحرب هو أفضل شاهد على أهميته وعلى دوره الحاسم في احراز النصر .

ـ اعتمد عمرو بن العاص مبدأ المباغتة وسيلة في عملياته كلها ، فابتعد عن المناطق المأهولة في سيناء خلال تقدمه من العريش الى الفرما بهدف تحقيق المباغتة . ويظهر ذلك من خلال حديث يوقنا الذي أسلم خلال فتوح الشام حيث قال لعمرو :

[.. انك تريد ان تدهم مصر على حين غفلة من اهلهـــا وانا ممن يمكنني ذلك .. ثم سار ليلاً من رفح يطلب الفرما ، ولم يقرب العريش ولا الفاربا وكلها حصون عامرة ..] (١)

ـ واعتمد عمرو بن العاص أسلوب المباغتة لتحطيم تفوق العدو العددي ، فقد حرص ابن العاص على جمع كل المعلومات الممكنة عن العدو وعن طبيعة

---

(١) فتوح الشام ، الواقدي ٢ ـ ٤٤ .

الأرض وعندما توفرت له هذه المعلومات قام بنصب كمينه في عين شمس واستطاع تحقيق المباغتة التي مكنته من تدمير قوات هجوم العدو بصورة تامة تقريباً، وان تدمير هذا الهجوم هو الذي قضى على كل محاولة لهجوم الروم ضد قوات المسلمين بسبب ما تكبده الروم من الخسائر الفادحة في هجومهم الفاشل ..

ـ وكان عمرو بن العاص يهتم اهتماماً كبيراً بالاستطلاع حتى إذا عجزت وسائله عن تحقيق ما يريده ذهب بنفسه لإجراء الاستطلاع الشخصي وقد تعرض أحياناً لخطر كبير تهدد حياته بسبب هذه المجازفة، وان نجاته في احدى محاولات الاستطلاع هي السبب الذي جعله يقسم في كثير من الأحيان فيقول: [لا، والذي نجاني من القبط ..] [1] وكان استطلاعه لنقاط ضعف العدو، واستثمار نتائج هذا الاستطلاع لمباغتة العدو من العوامل الأساسية فيما أمكن له تحقيقه من نجاح ..

ـ لقد تم اقتحام أسوار « بابليون » وتحقيق المباغتة بفضل استطلاع الزبير ابن العوام ومعرفة نقاط الضعف واستثمارها .

ـ وأمكن اقتحام أسوار « الاسكندرية » بفضل الحرص على تحقيق المباغتة.

ـ وأمكن اقتحام « اطرابلس » بفضل استخدام المباغتة . وكذلك بالنسبة للهجوم المباغت على سبرت ..

ـ ان المهارة في استخدام مبدأ « المباغتة » من العوامل الحاسمة فيما حققه العرب من انتصارات، وكان عمرو بن العاص من القادة الذين عرفوا أهمية المباغتة وأتقنوا استخدامها .

٤ ـ الحفاظ على الهدف :

يضع الأمريكيون في استراتيجيتهم مبدأ الحفاظ على الهدف في طليعة مبادىء الحرب، ويشمل الحفاظ على الهدف مفهومين أولهما الحفاظ على الهدف الذي من

....

(١) فتوح مصر والمغرب . ابن الحكم ٥٩ ـ ٦٣ ـ ١١٣ .

أجله نشبت الحرب وذلك على أســاس نظرية كلوزوتيز في أن الحرب استمرار للسياسة والديبلوماسية لكن بوسائل أخرى ، وثانيها الحفاظ على الهــدف في مسرح العمليات ..

– كان هدف العرب المسلمين من حروبهم نشر الدعوة الاسلامية . وقـد وضع الرسول الأعظم المبادىء التي نزل الاسلام بها في موضوع الحرب موضع التنفيذ فكانت :

١ – الإسلام . ٢ – الجزية . ٣ – الحرب .

والتزم المسلمون بهذه المبادىء ..

– عندما وصلت قوات العرب المسلمين إلى مصر ، جرت اتصالات بـــين عمرو بن العاص وبين المقوقس حاكم مصر ، وأرسلت الوفود من الطرفين لاجراء حوار هدفه التوصل الى حل وسط يرضي العرب المسلمين ويقبل به الروم، لكن الوفود العربية أصرت على مواقفها والتزمت بمبادئها ، وكان جواب عبــادة بن الصامت للمقوقس عندما بذل محاولته الاخيرة لحمل المفاوضين على التساهل قوله :

[.. لا ورب السماء ، ورب هذه الأرض ، ورب كل شيء ما لكم عندنا خصلة غيرها .. فاختاروا لأنفسكم ..]

فما كان من المقوقس إلا أن تراجع أمام هذا التصميم فقال لمستشاريه ناصحاً :

[.. اطيعوني واجيبوا القوم الى خصلة من هذه الثلاث فوالله ما لكم بهم من طاقة ، وان لم تجيبوا اليهم طائعين لتجيبنهم الى ما هو اعظم من هذه كرهاً ...] (١)

ويظهر تصميم عمرو بن العاص في الحفاظ على الهدف – أثناء العمليات القتالية – من خلال اصراره على تحقيق الأهداف وإزالة المواقع واحتلال المدن الواقعة على محور عملياته ، وعدم الانحراف الى أهداف تبادلية أو تحويل محور الجهــد

....

(١) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٥٩ – ٦٣ – ١١٣ .

الرئيسي بناء على المقاومات التي جابهه بها العدو .. ويظهر هذا التصميم بشكله الواضح من خلال أعمال الحصار الطويلة في بابليون والاسكندرية بصورة خاصة وعدم الانتقال الى مراحل أخرى قبل إكمال المراحل السابقة وانجازها بصورة تامة.

– ان تصميم عمرو بن العاص في الحفاظ على الهدف، والتزام القادة بأهداف حرب المسلمين وعناد المسلمين في قتالهم لتحقيق هدفهم من الحرب، كانت من العوامل التي مهدت للنصر ..

٥ – وحــدة القيادة :

– يضع جون فوللر ضرورة وحدة القيادة في القتال واحداً من مبادىء الحرب، كما تضع العقيدة السوفيتية هذا المبدأ من المبادىء الأساسية للحرب. (١)

– كانت القوات العربية ـ في مسرح العمليات ـ تخضع لقيادة واحــدة ، وكانت القوات الاحتياطية أو قوات الدعم تبقى تحت أمرة قيادتها خلال الانتقال من مسرح عمليات الى مسرح آخر أو من جبهة الى أخرى ثم تضع نفسها تحت تصرف قائد مسرح العمليات أو الجبهة التي تلتحق بها . وهكذا فعندما تقـدم الزبير بن العوام على رأس قوات الدعم ووصل الى مصر، وضع نفسه وقوته تحت تصرف عمرو بن العاص ، وكانت وحدة القيادة في عمليات قتال العرب المسلمين من العوامل الحاسمة في نجاح عملياتهم.. وإذا أجريت مقارنة من حيث أسلوب العمل القيادي بين قيادة القوات العربية في مصر وبين قيادة القوات المدافعة عن مصر نجد أن القيادة الأولى موحدة بينما نرى أن الثانية موزعة بين المقوقس حاكم

....

(١) جون فوللر ، ولد عام ١٨٧٨ ، جنرال ومفكر عسكري ، بريطاني الجنسية ، اشترك في حرب البوير ١٨٩٩ ، اختص في الحرب العالمية الاولى باستخدام الدبابات ، ثم اصبح رئيساً لشعبة عمليات الدبابات . في عام ١٩٢٦ عين معاوناً لرئيس هيئة الأركان البريطانية . ترك الجيش عام ١٩٣٣ ، تفرغ للانتاج الفكري العسكري وكان معلقاً مرموقاً خــلال الحرب العالمية الثانية . من أهم كتبه : الدبابات في الحرب العالمية و « التسليح والتاريخ » المذهب العسكري الاسرائيلي – هيثم الكيلاني ٤١٧ .

مصر وبين قيادة القوات البيزنطية في الاسكندرية ، وهي المرتبطة مباشرة بالقيادة العامة في القسطنطينية ، هذا علاوة على القيادات المحلية والقيادات المستقلة ، كقيادة بابليون ، وقيادة بلبيس وقيادة الفرما بالاضافة لقيادة الارطبون الذي التحق بمصر مع قوته بعد فتح الشام ، وهزمه عمرو بن العاص في بلبيس وقتله.

– كانت جميع هذه القيادات تتمتع باستقلال في العمل وبحرية في التصرف بعيداً عن اشراف القيادة العامة ، ومما لا ريب فيه هو أن توزع السلطات القيادية قد ارتبط بتوزيع القوات المقاتلة أيضاً مما أصبح متناقضاً مع ضرورة العمل وفق مخطط عمليات موحد .. وكان لهذا التوزيع في القوى والامكانات دور هام في مساعدة العرب على خوض معارك منفصلة ، وتحطيم قوات خصومهم على مراحل ، مما أسهم إلى حد بعيد في تحقيق النصر النهائي ..

– لقد كانت وحدة قيادة العرب المسلمين مقابل تعدد قيادات القوات المدافعة عن مصر من العوامل الأساسية والحاسمة في فتح مصر ..

٦ – كفاءة افراد القيادة العامة :

– اعتمد ستالين جوزيف ، رئيس مجلس السوفييت الأعلى في الحرب العالمية الثانية مبدأ كفاءة افراد القيادة العامة ، كعامل اساسي من عوامل النصر في الحرب وكواحد من مبادئها ..

وتأخذ كثير من الدول بهذا المبدأ بحيث لا تسلم قياداتها الا على اساس الكفاءة والامكانات .

– وفي تاريخ جيوش العالم ، تقرير لواقع دور القيادات العربية الاسلامية في الفتوح حيث نطالع :

[.. كان قادة هذه الجيوش الصغيرة ، على مستوى عال من الكفاءة ، وباندفاع من الايمان الجديد عرفوا كيف يقودونها الى النصر ، وكانت نواة المؤمنين التي شكلها محمد ﷺ ، احتياطاً ممتازاً لـ « كوادر » القيادة » ، ويعود

الفضل في اختيارها الى هذا القائد العظيم اذ انه هيأ كل فرد منها للمكان وللمجال الذي سوف يشغله ...] [1]

—*—

– وضع الرسول القائد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أسس « مدرسة الحرب » وعلم أتباعه فن الحرب وأسلوب قيادة الرجال فتخرج من هذه المدرسة خلال فترة قصيرة من عمر الزمن نخبة قيادية دانت الدنيا لها .. وكان الرسول القائد يضع في اختياره لقادته عامل الكفاءة والقدرة في المرتبة الأولى وأثبت هؤلاء أنهم كانوا عند حسن ظن نبيهم بهم ..

وجاء الخلفاء من بعده فاتبعوا الأسلوب ذاته وقلدوه تقليداً ذكياً يتوافق مع الواقع ومع متطلبات الفترة التي يعيشونها ومع التطورات المحتملة لمسيرة الأحداث.

– قال الخليفة عمر بن الخطاب عندما رأى عمرو بن العاص يدخل المسجد وقد حضر من مصر الى المدينة فوصلها والخليفة عمر يخطب في الناس :

[هذا عمرو بن العاص قد اتاكم ، ما ينبغي لأبي عبد الله ان يمشي على الارض الا اميراً ..] [2]

– وأرسل الخليفة عمر قوات لدعم عمرو بن العاص بقيادة الزبير بن العوام ومعه رسالة جاء فيها :

[.. اني قد امددتك بأربعة آلاف رجل على كل الف منهم رجل مقام الألف .. الزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة ابن مخلد ...] .

– لقد أبرزت معارك فتح مصر مجموعة من القادة ، كما أظهرت امكانات هؤلاء القادة للعمل وفق مبادأتهم ، وكان نجاح عمرو بن العاص في تركيز الجهد

....

(١) تاريخ جيوش العالم ، يوسف يازجي ، المجلة العسكرية ، عدد ٦ و ٧ .
(٢) الاصابة ٥ - ٢ ، ابن الحكم ٢٤١ ، اليعقوبي ٢ - ١٩٧ .
(٣) تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ٢ - ٢٩ .

على محور العمليات الرئيسي وفي حشد القوات ، وفي تقسيم القطاعات بين القادة بشكل واضح بعد فتح بابليون ـ من أجل اكمال عملية الفتح ـ مع تحديد الواجبات لكل منهم ضمن قطاعاتهم هي من بعض ما جعل عمرو بن العاص يحتل مكانته القيادية بجدارة .

ـ وكان إقدام الزبير بن العوام على إجراء استطلاع دقيق وشخصي ثم القيام باقتحام أسوار بابليون وقيادته القوات بحزم وكفاءة حتى منطقة القتال هي مما أعطى الزبير دوراً هاماً في عمليات فتح مصر .

وكان نجاح عبادة بن الصامت في المفاوضات مع المقوقس ثم في فتح الاسكندرية مما جعله يحتل مكانة مرموقة في صفوف القادة الذين يعرفون ما يريدون ويصممون على تنفيذ ما يقررونه .

لقد اضطلع خارجة بن حذافة بواجب تحرير قرى الصعيد ، وعمل عبد الله ابن حذافة السهمي في تحرير عين شمس ، وعمير بن وهب الجمحي في تحرير القسم الشرقي من الدلتا ، وعقبة بن نافع الفهري في فتح زويلة ، وعتبة بن عامر في فتح بقية قرى الدلتا ، وعبد الله بن عمرو بن العاص في فتح الكريون ، ووردان في تدمير « خربة وردان » ، وكان لنجاح هؤلاء جميعاً وغيرهم برهان واضح وأكيد على ما ينفردون به من مزايا قيادية ، وما يتمتعون به من امكانات قتالية .

٧ ـ الهجوم :

ـ يحتل الهجوم المرتبة الثانية في سلم مبادىء الحرب التي يعتمدها الأمريكيون ، وتعتمد جميع القوات المسلحة في العالم كله مبدأ الهجوم ، كأول مبدأ من أجل تحقيق النصر في الحرب ، ولقد جاءت التطورات التقنية المتتابعة في فن الحرب لخدمة هذا المبدأ .

ـ ان الهجوم هو الوسيلة الوحيدة لحسم الصراع المسلح في صالح الطرف الذي يقوم بالهجوم ، وليس الدفاع سوى وسيلة مرحلية للانتقال بعدها إلى الهجوم . وكان القادة العرب يعتمدون أسلوب التعرض والقيام بالهجوم في جميع

أعمالهم القتالية ، ولعل العرب هم أول من مزج الدفاع بالهجوم في أعمال تنظيم الروابط والمسالح والثغور ، وان أعمال الصوائف والشواتي والهجمات المتكررة والدورية للدفاع عن الحدود هي أفضل شاهد على ذلك .

– وان استخـــدام العرب المسلمون للهجوم وسيلة في حروبهم ساعدهم على الاحتفاظ بالمبادأة بحيث لم يتخلوا عنها ولم يتركوها لخصومهم فكانوا يضيعون خصومهم أمام مواقف جديدة باستمرار ويرغمونهم على توزيع قواتهم فيخوضون المعركة في المكان والطريقة التي يريدون ..

– وطبق عمرو بن العاص مبـــدأ الهجوم في عملياته جميعاً ، واستخدمه بصورة خاصة في فتح الاسكندرية الثاني حيث ترك العـدو يغادر الاسكندرية ويتقـــدم في اتجاه الجنوب ثم فرض عليه المعركة فدمر قواته خارج أسوار الاسكندرية وتحصيناتها ثم حاصر المدينـة ونظم هجوم بحري – بري واقتحم الأسوار والتحصينات وتم له تدمير مقاومات العدو وارغامه على الاستسلام ..

– ان اعتماد العرب للهجوم أسلوباً في حروبهم هو الذي مكنهم من انجـاز ما أنجزوه وتحقيق ما أرادوه من فتوحات خلال فترة قصيرة جداً من عمر الزمن..

٨ – اجبار الخصم على بعثرة قواته :

وضع ليدل هارت[١] مبدأ [اجبار الخصم على بعثرة قواته بواسطـــة التقرب غير المباشر] في طليعة مبادىء الحرب .

ـ كان المقوقس حاكم مصر ، وجهاز القيادة البيزنطية يتوقع دونما ريب قيام العرب بالهجوم على مصر بعد أن استقرت قواتهم في الشام . ولكن هذه القيادة لم تكن تتوقع اتجاه محور هجوم العرب المسلمين ، كما كانت تجهل حجم القوات

(١) ليدل ـ هارت ـ باسيل هنري، ولد عام ١٨٩٥ ، بريطاني الجنسية ، مؤلف واستراتيجي معروف ، تدرج في الرتب العسكرية حتى وصل الى ممارسة عمل مستشار وزير الحربية ، ثم أصبح مراسل عسكري لصحيفتي الديلي تلغراف والتيمس اللندنية ، له مؤلفات كثيرة ..

التي سيتم زجها على هذه الجبهة . ثم حملت فلول القوات التي هزمت أمام زحف العرب المسلمين والتجأت إلى مصر ، حملت معها كثيراً من المعلومات عن قوة العرب وإيمانهم وقدرتهم القتالية مما أحبط ارادة القتال في مصر سواء على مستوى القيادة أو على مستوى القوات ..

ـ لجأت القيادة في مصر إلى توزيع قواتها وإلى دعم الحاميات المدافعة عن المدن والمواقع المحصنة واحتفظت بالقوة الرئيسية في الاسكندرية ، واتبع عمرو ابن العاص أسلوب تحطيم المقاومات الثانوية قبل الاصطدام بالقوة الرئيسية ويعتبر عمله هذا تطبيقاً لمبدأ اجبار الخصم على بعثرة قواته بواسطة التقرب غير المباشر ..

كما أن سلوك عمرو بن العاص محور غرب الدلتا للهجوم على الاسكندرية تطبيق ثان لهذه الاستراتيجية التي أثبتت أهميتها فيما تم تحقيقه من انتصارات.

٩ ـ الحشد ، ومرونة الحركة :

كانت المدينة المنورة في الجزيرة العربية هي المنطقة الأولى لحشد القوات المتوجهة نحو الشمال . وأصبحت الكوفة والبصرة قاعدتي الحشد لغزو فارس كما أصبحت دمشق قاعدة الحشد لتوجيه القوات نحو الشمال والغرب .

ـ وكانت قواعد الحشد هذه تبعد مسافة غير قصيرة عن مسارح العمليات المختلفة ، ونتيجة لذلك كانت حركة القوات من قواعد الحشد إلى مناطق العمليات تشكل عبئاً ثقيلاً يرهق القيادات والقوات على حد سواء . لكن ميزات القوات العربية ـ الاسلامية ومن أولها الصبر وقوة الارادة وخفة الحركة والمرونة في الانتقال قد ساعدت الجيوش العربية على حرق المراحل الزمنية والمكانية وتجاوز الصحارى والمفاوز للوصول الى أهدافها وهي على استعداد كامل لخوض المعركة .. وكانت خفة الذيل الاداري وقلة متطلبات المقاتلين من العوامل المساعدة على مرونة الحركة ..

ـ كان عمرو بن العاص من القادة الذين ينجزون حشد قواتهم بسرعة فوق مسرح العمليات . كما كان يعيد تنظيم قواته بسرعة بعد كل معركة من أجل زجها في الواجبات التالية . وكانت خفة الحركة والكفاءة العالية في حشد القوات، سواء في التحرك ما بين مسارح العمليات المتباعدة أو حتى بين الجبهات المختلفة من الميزات التي انفردت بها القوات العربية ومن العوامل الحاسمة التي ساعدت على النصر ..

١٠ ـ المطـــاردة :

ـ رابع المبادىء الخمسة التي وضعها كلوزويتز في سلسلة مبادىء الحرب بينما وضع ماوتسي تونغ هذا المبدأ في المرتبة الثانية من مبادىء الحرب ..

كان عمرو بن العاص لا يترك معركة تنتهي دون أن يرسل مفارز الفرسان الخفيفة لمطاردة مفارز وأفراد العدو أثناء انسحابهم قبل أن يتمكنوا من تشكيل مقاومات جديدة أو الانضمام إلى حاميات ومواقع أخرى .

ـ طاردت مفارز العرب المسلمين فلول القوات المنسحبة مع انتهاء معركة بلبيس وتكررت مرة أخرى في معركة عين شمس ، وتمت مطاردة العدو بصورة قوية في فتح الاسكندرية الثاني ، وكانت المطاردة الحاسمة من العوامل الأساسية التي أحبطت إرادة القتال في صفوف القوة المدافعة عن مصر ..

ـ وكانت مطاردة فرسان العرب المسلمين لخصومهم ذات دلالات خاصة ، اضافة لدورها في عدم تمكين العدو من تشكيل مقاومات جديدة ، ذلك انها برهنت للعدو وأقنعته بجدية هؤلاء المقاتلين وتصميمهم على تنفيذ عملياتهم القتالية حتى تحقيق النصر النهائي .

١١ ـ التموين من مؤونة العدو نفسه :

يضع ماوتسي تونغ مبدأ التموين من مؤونة العدو نفســـه ضمن المبادىء الأساسية لإحراز النصر في الحرب ..

ـ وكان لا بد لعمرو بن العاص من الاعتماد في تموينه وامداده على ما تحصل عليه قوات العرب المسلمين خلال معاركها لا سيما وان قواعد التموين والامداد قد أصبحت بعيدة كل البعد عن مسرح العمليات في مصر .

ـ لكن عمرو بن العاص لم يتوقف عند حدود الاكتفاء بالتموين من مؤونة العدو نفسه بل اتفق مع المقوقس على قطع هذه الامدادات عن القوات البيزنطية، كما أنه طبق عملياً أسلوب الحصار وقطع الامدادات عن الحامية المدافعة عن الاسكندرية ، وبذلك نجح في احباط ارادة القتال عند العدو ، وارغامه في النهاية على قبول نتائج المعركة الحاسمة ..

كان نجاح عمرو بن العاص رائعاً في اجتذاب جماهير شعب مصر اليه وحملهم الوقوف الى جانبه في معركة الامداد والتموين وحجبها عن قوات بيزنطة ..

١٢ ـ الحرب النفسية :

أمر المقوقس النساء أن يقمن على سور « بابليون » مقبلات بوجوههن الى داخله، وأقام الرجال بالسلاح مقبلين بوجوههم الى المسلمين ليرهبهم بذلك ، فأرسل اليه عمرو :

[... انا قد رأينا ما صنعت وما بالكثرة غلبنا من غلبنا ، فقد لقينا هرقل ملككم فكان من امره ما كان ..] فقال المقوقس لأصحابه :

[.. صدق هؤلاء القوم ، اخرجوا ملكنا من دار مملكته حتى ادخلوه القسطنطينية فنحن اولى بالاذعان ..] (١)

تلك هي واحدة من صور الحرب النفسية ، حاول المقوقس إرهاب المسلمين، فجابهه عمرو بن العاص بحرب أقسى ، حرب فيها الاقناع كل الاقناع ، مما أحبط خطة المقوقس وانقلب السلاح النفسي ضد مستخدمه ..

---

(١) فتح مصر والمغرب ، ابن الحكم ١٠٨ .

- كان عمرو بن العاص من القادة الذين يستخدمون الحرب النفسية لإرهاب عدوه واحباط روح القتال لديه .. وكان يعتمد في حربه على العقل والسيف صنوان لتحقيق هدف واحد هو تحقيق النصر الحاسم في نهاية المعركة .. وكان احتفاظه بوفد المقوقس خلال يومين لاطلاعه على أحوال المسلمين ضمن اطار خطة الحرب النفسية التي استخدمها عمرو بن العاص في فتح مصر ..

١٣ - التسليح :

[... كان المقاتلون المسلمون الاوائل في بداية الامر يفتقرون الى السلاح فكان عليهم ان يناضلوا نضالا لينتزعوا السلاح من ايدي اعدائهم ، ولما لم يكن في شبه الجزيرة العربية الا صناعة بدائية تنتج غالباً اسنة الرماح والسهام فان اجود الاسلحة كان مصدرها الخارج] (١) .

- لقد انتزع العرب المسلمون أسلحتهم من خصومهم ، وكانت كل معركة تزيد إلى رصيدهم مزيداً من الأسلحة في نوعها و كميتها حتى أصبح لدى المسلمين تسليحهم الجيد .

- وكان الفرسان من الأسلحة الأساسية في جيوش العرب المسلمين وكانوا يجيدون استخدامها **[كانت العرب امهر مربي الخيول اطلاقاً وفرساناً مهرة خفافا ..]** (٢)

- وكان السيف هو السلاح الأول في أيدي المقاتلين ، وقد أجاد العرب استخدامه على أفضل وجه **[.. كانت العرب تطعن بالسيف كالرمح وتضرب به كالعمود ، وتطعن به كالسكين وتجعله سوطاً ومقرعة ، وتتخذه جمالا في الملأ وسراجاً في الوحدة ، وجليساً في الخلاء وضجيعاً للنائم ورفيقاً للسائر]** (٣) .

- وعلاوة على الأسلحة الفردية فقد تطور تسليح جيوش العرب المسلمين ،

....

(١) و (٢) تاريخ جيوش العالم ، يوسف يازجي ، المجلة العسكرية العددين ٦ و ٧ .
(٣) حلية الفرسان وشعار الشجعان ، ابن هذيل ص ١٨٧ .

بحيث استخدموا المنجنيق في حصار الاسكندرية ، كما استخدموا بقية الأعتدة الضرورية للهجوم على التحصينات واختراق المواقع المنيعة وعبور الأنهار ..

١٤ - الروح المعنوية للمقاتلين :

- انطلق العرب المسلمون من جزيرتهم وفتحوا الشـــام والعراق ثم تابعوا عملياتهم شرقاً في اتجاه فارس وغرباً في اتجاه مصر ، وكان تعداد جيش عمرو بن العاص أربعة آلاف مقاتل ثم دعم بأربعـــة آلاف مقاتل ، وبقي تفوق العدو ساحقاً في العــدد وفي التسليح ، فكيف استطاع عمرو بن العاص فتــح مصر بهذه القوات ؟..

[كانت غلبة المسلمين تعود لايمانهم في قائدهم ونبيهم وتعاليمه[1] هـذه التعاليم قلبت رأساً على عقب تقاليد هؤلاء الرجال الفرديين ..]

وكتب أميان مارسيلان يصف الاعراب :

[.. انهم حليف خطر وعدو رهيب ، كالصقور البزاة التي تنقض على فريستها مثل البرق وسرعان ما تحملها وتغيب بها ..] ..

- ان العامل الأول في انتصار المسلمين يتمثل في إيمانهم العميق بتعاليم دينهم وبواجبهم في حمل رسالة الاسلام الى أرجاء الدنيا .. وكان هذا الإيمان يعوض كل قصور في العدد والتسليح [**... ومهما كان من شأن عدم الكفايات هذه فان الايمان بالعقيدة الجديدة دفعت جنود الاسلام كحد لا يقاوم لغزو المناطق التي كان يسيطر عليها الفرس والبيزنطيون ...**][2]

- لقد تجاوز المقاتلون المسلمون وهم قلة - حدود الصحراء - وتحملوا قيظ الحر وقر البرد وعانوا التعب والجهد ، وجابهوا الأخطار ، وتعرضوا للقتـــل ، وقاتلوا ، وقتل منهم من قتل ، وانتقلوا من معركة الى معركة ومن اقتحـــام خطر الى اقتحام ما هو أخطر ، وليس لهم من الزاد والتسليح سوى الإيمـــان

....

(١) و (٢) تاريخ جيوش العالم ، يوسف يازجي ، المجلة العسكرية العددين ٦ و ٧ .

بقضيتهم واعتقادهم الثابت بتعـاليم دينهم ورسالة نبيهم محمد بن عبد الله ﷺ .

– كان على قيادة قوات العرب المسلمـين رجال مؤمنون ، أثبتوا كفاءتهم القيادية . وطبقوا في حروبهم مبادىء الحرب الصحيحة منطلقين في ذلـك من عقيدتهم الدينية وتحليلهم الصحيح للمواقف التي يجابهونهـا ولكن المبادىء كل المبادىء ، والمخططات كل المخططات تصبح مجرد كلمات جوفاء إذا لم يكن إيمان المقاتلين من أجلها عميقاً لا يتزعزع .

– ان القوة المعنوية هي السلاح الذي انتصر به المسلمون ، وان مصادر هذه القوة تكمن في تعاليم الدين الاسلامي :

١ – فالانضباط الطوعي للتسلسل القيادي هو من تعاليم الاسلام [أطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر منكم ..] .

٢ – ووحـدة السلاح وأخوته هي من تعاليم الاسلام [ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص] (١)

٣ – والاستعداد للقتـال هو أمر من الله تعالى [وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ..] ..

– كان إيمان المسلمين بهذه المبادىء ، هو مصدر قوتهم ، كانوا يعتزون بالله ويثقون بنصره ، وكانوا يؤمنون بأن السلام تحت ظلال الرماح ، وان الجنـة تحت ظلال السيوف ..] ومن هـذا الإيمان انطلقت ارادتهم للفتح ، فـكان لهم ما يريدون . – وأيدهم الله بنصره – .

١٥ – انشاء علاقات اجتماعية جديدة :

– لم تكن حروب العرب المسلمين هدفاً في حد ذاتها ، وإنمـا كانت وسيلة لتحقيق غاية ، كانت حروباً هادفة ، عادلة ، نبيلة ..

....

(١) سورة الصف الآية ٤ .

- كانت هادفة ، لأنها تريد نشر القيم والتعاليم الاسلامية واقامة عالم جديد يسوده المحبة ، والاخاء والحرية والسلام والخير .

- وكانت عادلة لأنها تريد تطوير العالم من خلال تحرير الانسان حتى يعيش حياته بعيداً عن الخوف والظلم ..

- وكانت نبيلة لأنها لم تستخدم وسائل غير مشروعة ثم لأنها كانت تلتزم الصدق في القول والعمل ..

[كانت الشعوب تستقبل بفرح جند الخلفاء بعد ان حملت جسيم الاعباء واضحت غير مكترثة ان لم تكن معادية للدولة التي تضطهدها ، وكانت الشعوب في عدد من المناطق قد وصلت الى مرحلة لم تتحمل معها حالة القهر ..] (٢)

ولهذا استقبلت هذه الشعوب الهجوم العربي بالفرح ونظرت للجنود العرب على أنهم محررين .

[لقد فوجئت بيزنطة ، ولكن ذلك لا يفسر كل شيء ، لقد كانت تلك الجيوش القليلة العدد كافية لتلك الفتوحات ، فقد تقبلتها الشعوب المغلوبة لأن ثورة اجتماعية واقتصادية رافقت الفتح ورأت فيها الشعوب خيراً لها ..] (٢)

عندما احتل العرب المسلمون مصر ، كان أول ما فعله عمرو بن العاص اطلاق الحرية الدينية للاقباط ، واستقبل البطريرق بنيامين بعد أن بقي هذا متغيباً زهاء ثلاث عشرة سنة وأعاده إلى كرسيه وأمر باستقباله عندما قدم الاسكندرية أحسن استقبال ..

وكان أيضاً أن خير عمرو بن العاص السكان فمن أسلم منهم صار له ما للمسلمين من الحقوق وعليه ما عليهم من الواجبات ، ومن بقي على دينه فرضت عليه جزية صغيرة مقدارها ديناران على من بلغ الحلم منهم ، واستثنوا النساء والشيوخ والأطفال .

....

(١) و (٢) تاريخ جيوش العالم ، يوسف يازجي ، المجلة العسكرية العددين ٦ و ٧ .

– ووضع عمرو بن العاص مصلحة المصريين نصب عينيه ولم يأل جهداً في اكتساب محبتهم فدانوا له بالطاعة وأحبوا ولايته ..

– وترك العرب الأرض للمصريين وأخذوا على عاتقهم حمايتهم ، فشعروا باستقرار وأمن كانوا قد افتقدوه منذ عهد بعيد ..[1]

– وعمل العرب على فرض الأمن والنظام وأقاموا جهاز الادارة ووضعوا القضاة واهتموا بالأعمال الهندسية لتنظيم أعمال الري وإنشاء الجسور والسدود .

– لقد سمع عمرو بن العاص وصية الرسول الأعظم : استوصوا بالقبط خيراً ، فان لهم ذمة ورحماً ، فطبقها نصاً وروحاً ، وبذل ما بوسعه لتحقيق الرفاه عن لشعب مصر ..

– كان مقدار الخراج في عهد عمرو ألفي ألف ، وعندما تولى عبد الله بن سعد ابن أبي سرح ولاية مصر بعد عمرو بن العاص جمع الخراج فكان أربعة آلاف ألف .. وعندما عاتب الخليفة عثمان عمرو بن العاص لتقصيره في هذا الأمر بقوله:

[.. ان اللقاح بمصر بعدك درت البانها ..] .. اجابه عمرو بن العاص: [ذاك لأنكم اعجفتم اولادها ..][2] بمعنى أنكم أرهقتم الشعب في مصر بمضاعفة الخراج وعدم التساهل بشأنه ..

– وهكذا لم يكن الفتح العربي الاسلامي لمصر أكثر من وسيلة لبناء المجتمع العربي الاسلامي ، وإنشاء علاقات جديدة بين الشعوب ..

---

(١) تاريخ الاسلام ، الدكتور حسن ابراهيم حسن ١ - ٢٣٨ .
(٢) فتوح البلدان ، البلاذري ٢١٧ .

قراءات

عمرو بن العـــاص

٤٧ ق.هـ - ٤٣ هـ = ٥٧٧ - ٦٦٤ م

[دهاة العرب اربعة : معاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد . فأما معاوية فللحلم والاناة ، وأما عمرو فللمعضلات ، وأما المغيرة فللمبادهة ، وأما زياد فللكبير والصغير] (١)

عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ، ويكنى بأبي عبد الله، وأمـــه سلمى بنت حرملة تلقب بالنابغة ، اصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ واشتراها الفاكهة بن المغيرة ثم اشتراها عبد الله بن جدعان ثم صارت الى العاص ابن وائل فأنجبت عمرواً .

- شهد غزوة أحد مع المشركين ثم أسلم مع خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وذلك في السنة الثامنة للهجرة ، ووثق بـه الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم واسند اليه قيادة سرية لحرب قضاعة ، وكان في هذه السرية رجال من اشراف المهاجرين والانصار ، ثم دعمه بسرية قوتها مائتين وفيها ابو بكر وعمر ، وقال عمرو بن العاص في ذلك :

[.. ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد احداً من اصحابه في حربه منذ اسلمت ..]

....

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٣٦ .

– كان الخليفة ابو بكر يقدر الرجال ، فأسند الى عمرو بن العاص قيـــادة واحد من الجيوش الاربعة التي وجهها لفتح الشام ، وظهرت كفاءته القيادية في مسيرة العمليات ، وفي فتح فلسطين بصورة خاصة .

– ثم تولى الخلافة عمر بن الخطاب ، وكان يقدر عمرو بن العاص فكان يقول اذا استضعف انسان في عقله : [اشهد ان خالقك وخالق عمرو واحد ..] ويقصد بذلك ان الله خالق الاضداد .

– ولاه الخليفة قيادة العمليات لفتح مصر، وبقي حتى عام ٢٧ هـ ، ثم عزله الخليفة عثمان وكان هذا سبب لانضمامه الى معاوية . ومن اقواله لمعاوية :

[.. ان الكريم يصول اذا جاع واللئيم يصول اذا شبع . فسد خصاصة الكريم واقمع اللئيم ..]

ومن اقواله المأثورة :

[.. ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ، ولكنه يعرف خير الشرين ..]

[موت الف من العلية أقل ضرراً من ارتفاع واحد من السفلة ..]

– كان له دور كبير في التحكيم ، وفي اقرار معاوية بن ابي سفيان وخلـع الخليفة علي بن ابي طالب وما اعقب ذلك من انشقاق في جبهـــة الخليفة علي وظهور الخوارج ..

تولى بعد ذلك ولاية مصر عام ٤١ هـ ولم يلبث ان توفي بعد عامين ونيف ..

– كان عمرو بن العاص ، يقرض الشعر ومنه :

اذا المرء لم يترك طعاماً يحبه ... ولم ينه قلباً غادياً حيث يمما
قضى وطراً منه وغادر سبّة ... اذا ذكرت امثالها تملأ الفما

ومن اقواله لمعاوية :

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل ... به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فان تعطني مصراً فأربح بصفقة ... اخذت بها شيخاً يضر وينفعا

وقال احدهم عنه :

[... صحبت عمرو بن العاص ، فما رأيت رجلا ابين قرآناً ولا اكرم خلقاً ولا اشبه سره بعلانية منه] (١)

—*—

الزبير بن العوام

٣٩ ق. هـ = ٣٦ — ٥٨٣ — ٦٥٦ م

[اشجع الناس - ابن الزبير - يغضب كالنمر ويثب وثوب الأسد] (٢)

عمرو بن العاص في حديثه مع الخليفة ابو بكر

– الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الاسدي ويكنى ابا عبد الله وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم ، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

– نشأ الزبير نشأة قاسية ، فقد ارادت له امه ان ينشأ صلباً فكانت تضربه ضرباً مبرحاً حتى عاتبها نوفل بقوله : ما هكذا يضرب الولد ، انك لتضربينه ضرب مبغضة ، فارتجزت تقول :

من قال اني ابغضه فقد كذب ... وانما اضربه لكي يلب

ويهزم بالجيش ويأتي بالسلب ... ولا يكن لما له خبأ مخب

يأكل ما في البيت من تمر وحب

وكان الزبير عند حسن ظن أمه به ..

أسلم وله من العمر ست عشرة سنة فكان من اوائل المسلمين ، وقد اسلم على

....

(١) طبقات ابن سعد ٧ - ٤٩٣ والاصابة ٥ - ٢ وأسد الغابة ٤ / ١١٥ - ١١٦ ، والاستيعاب ٣/١١١٤ ، ولمطالعة المزيد في قادة فتح الشام ومصر اللواء الركن محمود شيت خطاب .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٥ - ٣٦٢ .

ايدي ابو بكر ، ويعد رابع المسلمين او خامسهم من الرجال الاحرار .

– هاجر الى الحبشة وعاد منها الى مكة ، وآخى الرسول الاعظم بينه وبين عبد الله بن مسعود وعاد فهاجر الى المدينة عندما هاجر المسلمون اليها وآخى صلى الله عليه وسلم بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش عندما آخى بين المهاجرين والأنصار ..

– شهد مع الرسول القائد حروبه جميعاً ، واظهر شجاعة نادرة في الدفاع عن الرسول الاعظم وكان على ميسرته عند فتح مكة .

– وقف بصلابة الى جانب الخليفة ابا بكر الصديق عندما ارتد المرتدون ، وكان من هيئة الشورى وبقي في هيئة شورى الخلفاء من بعده عمر وعثمان .

– شهد معركة اليرموك ، وقاد قوات الدعم لفتح مصر ، وفتح حصن بابليون ورفض الولاية عندما عرضت عليه ..

اشترك في فتنة الجمل ، وشعر بخطورة عقابيل هذه الفتنة في تمزق المسلمين فأراد الانسحاب ، فتعقبه عمرو بن جرموز التميمي فطعنه من ظهره فقتله ، ووقفت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل زوجة الزبير ترثيه فقالت :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة[١] يوم اللقاء وكان غير معرد[٢]
يا عمرو لو نبهته لوجدته لا طائشاً رعش الجنان ولا اليد
شلت يمينك ان قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد ..
ان الزبير لذو بلاء صادق سمح سجيته كريم المشهد
كم غمرة قد خاضها لم يثنه عنها طرادك يابن فقع[٣] الفرقد
فاذهب فما ظفرت يداك بمثله فيما مضى ممن يروح ويغتدي

كما رثاه حسان بن ثابت بقصيدة جاء فيها :

هو الفارس المشهور والبطل الذي يصول اذا ما كان يوم محجل

(١) شديد البأس . (٢) معرد : يفر من الحروب . (٣) الفقع : الفطر ، كناية عن الضعف .

عبد الله بن حذافة السهمي[1]

[... لا ترى اني بكيت جزعاً مما تريد ان تصنع بي ، ولكني بكيت حيث ليس لي الا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله ... كنت احب ان يكون لي من الأنفس عدد كل شعرة في ، ثم تسلط علي فتفعل بي هذا ...]

قالها عبد الله بن حذافة عندما ألقى ملك الروم امامه احد الاسرى في قدر ماء يغلي بهدف ارهابه . وشهد عبدالله الاسير وعظامه تلوح بالماء المغلي فبكى وقال ما قاله لملك الروم .

عبد الله بن حذافة بن قيس بن سعد السهمي القرشي وأمه تميمة بنت حرثان من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة .. وهو من اوائل المسلمين ، هاجر الى الحبشة ، وكلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل رسالته الى ملك كسرى يدعوه فيها بدعاية الاسلام . كما كلفه الرسول بقيادة سرية في احدى الغزوات ..

– كان مع القوات التي توجهت لفتح الشام ، وأسره الروم في غزوة من غزواتهم القيسارية وتعرض للتعذيب والاضطهاد فما وهن ولا تخاذل ولا ضعف حتى طلب اليه ملك الروم تقبيل رأسه مقابل اطلاق سراحه وثمانين من أسرى المسلمين ففعل . وكان المسلمون يداعبونه بعد ذلك فيقولون له :

[... قبلت رأس علج . فيجيبهم: اطلق الله بتلك القبلة ثمانين مسلماً ..]

– اشتهر عبد الله بالدعابة حتى ان الرسول الاعظم ذاته لم يسلم من دعابته حيث قطع له في احدى الغزوات رباط راحلته حتى يضحك الرسول ويدخل البهجة الى قلبه .. كما اشتهر عبد الله بالكرم والذكاء والغيرة والشهامة ..

---

(١) الاصابة ٤ – ٥٥ . اسد الغابة ٣ – ١٤٢ . طبقات ابن سعد ٤ – ١٨٩ . سيرة ابن هشام ١ – ٢٥١ . الاستيعاب ٣ – ٨٨٨ . لمطالعة المزيد في « قادة فتح الشام ومصر » اللواء الركن محمود شيت خطاب .

ـ اسند اليه عمرو بن العاص قيادة بمجموعة قتالية لفتح عـين شمس ففتحها وصالح اهلها واقام بها فأحسن ادارتها وتنظيمها حتى احبه الناس ..

توفي في مصر ، ودفن بمقبرتها في خلافة عثمان بن عفان ..

—★—

خارجة بن حذافة العدوي[1]

؟ – ٤٠ هـ = ؟ – ٦٦٠ م

[.. أردت عمرواً وأراد الله خارجة ..]

ـ عمرو بن بكر ـ

هو خارجة بن حذافة بن غانم العدوي ـ القرشي ، وأمه فاطمه بنت عمرو ابن بجرة العدوية ـ صحابي ـ ظهر دوره القيادي عندما وجهه الخليفة عمر بن الخطاب مع الزبير بن العوام لدعم عمرو بن العاص في فتح مصر ، وكان واحد من الاربعة الذين عدل الخليفة كل واحد منهم بألف مقاتل ..

قاد خارجة بمجموعة قتالية قوتها خمسمائة مقاتل بمهمة نصب الكمين في ام دنين ـ الازبكية حالياً ـ وكان لنجاح هذه القوة في تنفيذ واجبهـا دور حاسم في احباط ارادة القتال لدى الروم وسقوط بابليون ..

ـ تولى خارجة قيادة الحامية المدافعة عن بابليون ومصر عندما توجه عمرو ابن العاص شمالاً لفتح الاسكندرية .

ـ وتولى قيادة بمجموعة قتالية بمهمة فتح الفيوم والاشمونين واخميم والبشر ودات وقرى الصعيد ، ووصلت هـذه المجموعة حتى اقصى الصعيد « في حدود طيبة » ..

ـ عندما استقر الامر للمسلمين في مصر ، استوطن خارجة فيهـا ، وتولى القضاء والشرطة وبقي فيها حتى نفذت مؤامرة ١٧ رمضان حيث تعهد ثلاثة

(١) اسد الغابة ٢-٧١ . الاصابة ٢-٨٤ . طبقات ابن سعد ٤-١٨٨ . الاستيعاب ٢-٤١٨ .

من الخوارج بقتل الخليفة علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص . وتصادف ان شعر عمرو بن العاص بوعكة اعاقته عن الخروج الى صلاة الفجر ، فكلف خارجة بالصلاة في المسلمين ، وعندما وقف خارجة للصلاة باغته الخارجي بطعنة من الخلف كان فيها مقتله ، وعندما ألقي القبض على القاتل واقتيد الى عمرو بن العاص وعرف انه اخطأ في اصابة هدفه قال : [.. اردت عمرواً واراد الله خارجة ..] واما معاوية فكانت طعنته غير قاتلة فشفي منها .

وذهب الخليفة علي بن ابي طالب ضحية مؤامرة ١٧ رمضان للسنة ٤٠ هـ .

—★—

عمير بن وهب الجمحي

٠٠٠ – ٢٤ هـ – ٠٠٠ – ٦٤٤ م

[رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، والله ما أرى ان يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم ، فاذا اصابوا منكم اعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ؟ فرَوْا رأيكم ..] [1]

(حديث عمير الى المشركين قبل وقعة بدر ، وقد قام وحده باستطلاع امور المسلمين وعاد فوصفهم لهم)

عمير بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي – القرشي ، يكنى ابا امية ، وأمه سخيلة بنت هاشم بن سعيد بن سهم ..

(١) الاصابة ٥ – ٣٦ . الاستيعاب ٣ – ١٢٢١ . سيرة ابن هشام ٢ – ٢٦١ . اسد الغابة ٤ – ١٤٨ . طبقات ابن سعد ٤ – ١٩٩ . لمطالعة المزيد في قادة فتح الشام ومصر – اللواء الركن محمود شيت خطاب .

– البلايا جمع بلية : الناقة . – النواضح : الابل ، لسقاية الماء .

– الناقع : الثابت ، الأكيد .

- كان سيد قومه في الجاهلية ، وكان من ابطـــال قريش وشيطاناً من شياطينها ، ناصب المسلمين العداء وقام بقيادة حملة الاضطهاد ضـــدهم ، وكلف باستطلاع امور المسلمين قبل وقعة بدر فقام بتنفيذ المهمة وحده وعاد الى قومه فوصف المسلمين ونصحهم بتجنب قتال المسلمين وقدر قوتهـم بدقة ، وعندما وقعت المعركة قاتل بضراوة واصيب بجراح خطرة ، ثم عاد الى مكة وتآمر مع صفوان بن امية على قتل الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، وعندما ذهب لتنفيذ مؤامرته استقبله الرسول واعلمه بما اعتزم تنفيذه واظهر له عجزه عن ذلك فأسلم وصدق اسلامه واستأذن الرسول بالعودة الى قومـــه داعياً للاسلام فأذن له ، وعاد فكان شديد الوطأة على المشركين واسلم على يديه ناس كثير .. وهاجر بعد ذلك الى المدينة وقاتل مع المسلمين في أحد وما بعدها من المعارك والغزوات ، كما اشترك في حروب الردة ، وكان واحداً من القادة الاربعـــة الذين اعتمدهم الخليفة عمر بقيادة الزبير بن العوام لدعم المسلمين في مصر .. وكان لشجاعته دور كبير في انتصار المسلمين سواء في معركتي بابليون والاسكندرية في قيادة عمرو بن العاص او عندما قاد مجموعة قتالية ففتح تنيس ودمياط وتونة ودميرة وشطا ودقهلة ونبام وبوصير ..

مات عمير بعد فتح مصر ، وفي صدر خلافة الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه .

—★—

عقبة بن عامر الجهني [1]

٠٠٠ – ٥٨ هـ – ٠٠٠ – ٦٧٧ م

[.. وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... ألا ان القوة الرمي ...
ألا ان القوة الرمي ... ألا ان القوة الرمي ...] .

حديث – مما رواه عقبة بن عامر ..

صحابي مشهور ، واسمه عقبة بن عامر بن عبس الجهني من قضاعة بن مالك ابن حمير ...

شهد عقبة مع الرسول اكثر غزواته .. وقاتل مع المسلمين في فتح الشام وكان رسولهم الى الخليفة عمر يبشره بالفتح . ثم اشترك مع القوة المقاتلة لفتح مصر .
قاد مجموعة قتالية بمهمة فتح منطقة الدلتا . ونجح في تنفيذ واجبه .

– عينه معاوية لقيادة القوة البحرية المصرية المكلفة بغزو البحر سنة ٤٨ هـ .
كان فقيهاً – فصيح اللسان – روى مجموعة من الأحاديث – وعرف بشدة البأس والعناد في القتال – .

—★—

عبادة بن الصامت الانصاري الخزرجي [2]

٣٨ ق. هـ – ٣٤ هـ – ٥٨٦ – ٦٥٤ م

[... أنا من النقباء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ...]

– عبادة بن الصامت –

– من اوائل الأنصار – ومن النقباء الاثني عشر – شهد مع الرسول الأعظم غزواته ومواقعه كلها – كان صلباً في إيمانه – فتخلى عن حلفائه بنو قميقاع

....

(١) الاستيعاب ٣/١٧٣ . الاصابة ٤/٢٥٠ – ٥١ . اسد الغابة ٣/٤١٧ . طبقات ابن سعد ٤/٣٤٣ – ٤٤ و ٧/٤٩٨ .

(٢) الاستيعاب ١/٨٢٥ . الاصابة ١/٩٢ . واسد الغابة ١/١٥٨ . وطبقات ابن سعد ١/٢٩٧ – ٢٢٠ .

عندما حاربوا الرسول وتولى بنفسه إخراجهم من المدينة .

وجهه الخليفة عمر إلى الشام بهدف نشر الدعوة الاسلاميــــة وتعليم القرآن والفقه وحدث خلاف بينه وبين معاوية فارسل الخليفة عمر امراً الى معاويةبعدم التعرض لعبادة او مجابهته . ثم خرج الى مصر مع قوة عمرو بن العاص – وتولى المفاوضات مع المقوقس وكان لعناده وصلابته وقوة حجته دور كبير في احباط ارادة القتال عند المقوقس . وتولى عبادة مهمة فتح الاسكندرية بعـد ان امتنعت على المسلمين فنجح في تنفيذ مهمتـــه . كما اشترك بعد ذلك مع معاوية بن ابي سفيان بفتح جزيرة قبرص .

– توفي في الرملة وقيل ببيت المقدس – .

—★—

من أدب الحروب

مقتل الارطبون [١]

بعد انتصار عمرو بن العاص على الارطبون في موقعة اجنادين. انضم الارطبون الى ايلياء ثم لحق بمصر عند مقدم الخليفة عمر الى الجابية ولحق به من احب ممن ابى الصلح ثم لحق عند صلح اهل مصر وغلبهم بالروم في البحر وبقي بعد ذلك فكان يكون على صوائف الروم والتقى هو وصاحب صائفة المسلمين فيختلف هو ورجل من قيس يقال له ضُريس . فقطع يد القيسي وقتله القيسي فقال . –

فان يكن أرطبون الروم أفسدها ... فان فيها بحمد الله منتفعا
بنانتان وجرموز أقيم به ... صدر القناة اذا ما آنسوا فزعا
وان يكن أرطبون الروم قطعها ... فقد تركت بها أوصاله قطعا

....

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٦١٢ .

وقال زياد بن حنظلة في فتح القدس : -

تذكرت حرب الروم لما تطاولت   وإذ نحن في عام كثير نزائله
وإذ نحن في أرض الحجاز وبيننا   مسـيرة شهر بينهن بلابله
وإذ أرطبون الروم يحمي بلاده   يحاوله قوم هنـاك يساجله
فلما رأى الفاروق أزمان فتحها   سما بجنود الله كيما يصاوله
فلما أحسوه وخافوا صواله   أتوه وقالوا انت ممن نواصله
وألقت اليه الشام أفلاذ بطنها   وعيشاً خصيباً ما تعد مآكله
أباح لنا ما بين شرق ومغرب   مواريث اعقاب بنتها قرامله
وكم مثقل لم يضطلع باحتماله   تحمل عبئاً حين شالت شوائله

—★—